

مكة حرسها الله تعالى / ١٤٤٥ هـ



سلسلة الدروس (٩)

نُبْصَةُ الْحَقِّ

بِشْرَحِ

مُشَارِكَةِ الْأَصُولِ

الشيخ

أبو عبد الله بن عبد الله بن هادي

حفظها الله تعالى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<https://alwadei967.blogspot.com>

• ❁ ————— ❁ •
<https://t.me/alwad3ya>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١)

الدرس الأول

[المقدمة]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

في هذه الليلة المباركة الثاني عشر من جمادى الآخرة عام ١٤٤٥ هـ، نبدأ إن شاء الله تعالى في «ثلاثة الأصول».

والبدء بالعقيدة من الواجبات، كما سيأتي إن شاء الله في كلام صاحب الرسالة. ومؤلف «ثلاثة الأصول» هو: الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى من كبار العلماء، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ لكتبه ومؤلفاته القبول، وانتشرت انتشاراً عظيماً بين طلبة العلم، حتى بين العوام ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نتكلم بكلام مختصر على البسملة؛ للتذكير والفائدة أيضاً:

الباء في (بِسْمِ اللَّهِ) للاستعانة، وهذا يفيد أن القائل: (بِسْمِ اللَّهِ) يقول: أستعين بالله. والاستعانة بالله: يفيد البراءة من الحول والقوة، والاعتراف بالضعف والعجز والتقصير، وما أشد حاجتنا إلى الاستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!

حتى إن ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (١/١٠٠) يقول: **أَنْفَعُ الدُّعَاءِ طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِ اللَّهِ.**

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. اهـ.

وما أبرك قول: **(بِسْمِ اللَّهِ)**، فينبغي الاهتمام بقول: **(بِسْمِ اللَّهِ)**.

وما ورد فيه الدليل نُكْمِلُ فِيهِ الْبِسْمَلَةَ: **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)**، مثل: عند قراءة أول السورة، وكذلك في أول الرسائل نقول: **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)**، وما لم يرد فيه البسملة كاملة فنقتصر على **(بِسْمِ اللَّهِ)**، نحرص على الامتثال ولا نتجاوز ذلك، فعند الخروج من المنزل، عند الأكل والشرب **(بِسْمِ اللَّهِ)** ولا نأتي بها كاملة، عند إطفاء النور كذلك **(بِسْمِ اللَّهِ)**، إذا عثر أحدنا كذلك، والبركة في السنة وإن قلَّ العمل.

(بِسْمِ اللَّهِ) يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «شرح البيقونية» (١٩): المعنى أبتدئ بكل اسم من أسماء الله عز وجل. اهـ.

فليس المراد بعض أسماء الله عز وجل.

وقد بدأ المؤلف رحمه الله كتابه بالبسملة؛ اقتداءً بكتاب الله عز وجل، واقتداءً بالنبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقد كان في مراسلاته يقول: **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** ^(١).

(١) وأما حديث: عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ» رواه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٢١٠). فهذا لا يثبت؛ فيه أحمد بن محمد بن عمران أبو الحسن ابن الجندي. قال الخطيب: كان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه.

والجار والمجرور في (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) متعلقان بفعل محذوف متأخر، فعند الكتابة يكون هناك تقدير: بِسْمِ اللَّهِ أَكْتُبُ، الفعل متأخر، عند القراءة بِسْمِ اللَّهِ أَقْرَأُ، بِسْمِ اللَّهِ أَصَافِرُ، وهكذا.

ويقدر الفعل بحسب المقام المناسب كما علمت.

ولفظ الجلالة (الله)، بمعنى: المألوه، وهو المعبود، المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

ومن خصائص لفظ الجلالة أنه لا يأتي نعت، وإنما يكون منعوتاً^(١).

(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) نعتان للفظ الجلالة، واختلفوا في التفرقة بين (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ):

ومن الأقوال المشهورة: ما جاء عن محمد بن عبيد الله العرزمي أنه قال: الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين^(٢).

قال لي الأزهرى: ليس بشيء.

وقال العتيقي: كان يرمى بالتشيع.

وأورد ابن الجوزي في «الموضوعات» في فضل علي حديثاً بسند رجاله ثقات إلا الجندي، فقال: هذا موضوع، ولا يتعدي الجندي.

يراجع ترجمته في «لسان الميزان» (١/٦٣٩).

(١) قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «بدائع الفوائد» (١/٢٤): ولم يجمع قط تابعاً لغيره بل متبوعاً.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «شرح ثلاثة الأصول» (١٦): وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء، حتى إنه في قوله تعالى:

﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝﴾ [إبراهيم: ١-٢]، لا نقول إن

لفظ الجلالة (الله) صفة، بل نقول: هي عطف بيان؛ لئلا يكون لفظ الجلالة تابعاً تبعية النعت للمنعوت.

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره»، والسند إليه حسن.

تنبيه: محمد العرزمي هذا متروك، ولكن الضعيف إذا ذكر مقالة - ليس رواية عن غيره - ذكر تفسيراً مثلاً من اجتهاده و ثبت السند إليه فإنه يُقبل.

ومنهم من يقول: (الرَّحْمَنُ) رحمن الدنيا والآخرة، و(الرحيم) بجميع الخلق.

والذي ذهب إليه ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ في الفرق بين هذين الاسمين:

أن (الرَّحْمَنَ) يدل على إثبات صفة قائمة بالله عَزَّجَلَّ، يعني مثل: العليم، البصير،

السميع، القدير.

و(الرَّحِيمِ) فيه إثبات صفة فعلية، فيرحم الله عَزَّجَلَّ من شاء ومتى شاء، كما قال

تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١].

فاسم (الرَّحْمَنِ): يتضمن إثبات صفة ذاتية، فهو لم يزل ولا يزال موصوفاً بها،

و(الرَّحِيمِ) يتضمن إثبات صفة فعلية^(١).

وهذا إذا اجتمعا كما في البسملة وسورة الفاتحة، أما إذا انفردا، ذكر الرحمن وحده،

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا

ومن أمثلة ذلك عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف، وله أقوال في التفسير، فإذا ثبت التفسير إليه يقبل، وإنما يرد رواية الضعيف إذا نقل عن غيره.

(١) وهذا نص كلام ابن القيم من «بدائع الفوائد» (١/٢٤): وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى.. وهو: أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلُّقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل.

فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

قال: وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾

﴿[التوبة: ١١٧]﴾، ولم يجيء قط رحمن بهم، فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته.

وقد شرح السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (١/٣٢) قول ابن القيم هذا، وقال: (فالأول دال أن الرحمة صفته) أي: صفة ذات له سبحانه. (والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته) أي: صفة فعل له.

وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ [الفرقان]، أو ذُكِرَ الرحيم وحده، كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ [الحجرات]، فمعناها واحد.

يعني: أن الرحيم والرحمن ذو الرحمة الواسعة الشاملة، والرحمن إذا ذكر وحده كذلك هو ذو الرحمة الواسعة الشاملة ^(١).

﴿قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَحِبُّ عَلَيْنَا تَعْلُمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ)﴾

(اعْلَمْ) كلمة يؤتى بها إذا كان ما بعدها أمراً مُهمّاً؛ ليلقي السامعُ سمعه بالكلية على استماعه ^(٢).

(رَحِمَكَ اللَّهُ) هذا فيه الدعاء - للمخاطب والتلميذ - والتلطف، وهذا من تواضع أهل العلم أنهم يدعون للمخاطب وللطالب، وقد كنتُ أسمع كثيراً والذي رَحِمَهُ اللَّهُ يدعو للطالب، ويقول:

جزاك الله خيراً، بارك الله فيك، حتى في نهاية الدرس يدعو لهم في كثير من الأوقات بالحفظ، ويقول: تفضلوا، حفظكم الله، وإذا غلِطَ يقول له: أصلحك الله، أو فهّمه فتعجّل الطالب، يقول له: اصبر جزاك الله خيراً ^(٣)، فَرَحِمَهُمُ اللَّهُ وغفر لهم.

والرحمة إذا أُفردت تشمل المغفرة، فمن قال: رحمك الله، فقد دعا بمغفرة ذنوبك والعصمة منها في المستقبل.

(١) يراجع «تفسير سورة الحجرات» للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وعزاه للعلماء.

(٢) يراجع حاشية المهري على «شرح ملحّة الإعراب» (١/١٥٠).

(٣) ومن دعاء المعلم لتلميذه: قول الإمام مسلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ في مقدمة «صحيحه» (٣/١): أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ بِتَوْفِيقِ خَالِقِكَ... فَأَرَدْتُ، أَرْشَدَكَ اللَّهُ أَنْ تُوقِفَ عَلَى جُمْلَتِهَا مُؤَلَّفَةً مُحْصَاةً. وقال: وَاعْلَمْ، وَفَقَكَ اللَّهُ تَعَالَى.

وأما إذا قرئت بالمغفرة، فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة والتوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل^(١).

(أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ) هذا فرض عين؛ لأن العلم على قسمين: فرض عين، وفرض كفاية. فرض عين كالتوحيد، وأركان الإيمان، وأركان الإسلام، النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما بعث مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرُدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»^(٢).

وأما فرض كفاية فهو: إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

والبدء بالعقيدة في طلب العلم واجب؛ لأن العقيدة هي الأساس والنجاة؛ ولهذا في الحديث «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»، وهذا فيه البدء بالأهم فالأهم.

وَجُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ^(٣)، «فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»^(١).

(١) يراجع «شرح ثلاثة الأصول» (١٧) لابن عثيمين. ط مؤسسة الشيخ ابن عثيمين.

(٢) رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩) واللفظ له عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) جَمْعُ حَزَوْرٍ وَحَزَوْرٍ، وَهُوَ الَّذِي قَارَبَ الْبُلُوغَ، وَالتَّاءُ لِتَأْنِيثِ الْجُمُعِ. «النهاية في غريب الحديث» (١/٣٨٠).

وهذا يفيد أن أول ما يبدأ به طالب العلم العقيدة، وأنه بعد العقيدة يبدأ بحفظ القرآن، قبل الاتجاه الكلي لطلب العلم وأخذ الدروس.

يقول الوليد- يعني: ابن مسلم-: كُنَّا إِذَا جَالَسْنَا الْأَوْزَاعِيَّ فَرَأَى فِينَا حَدَّثًا، قَالَ: «يَا غُلَامُ، قَرَأْتَ الْقُرْآنَ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اقْرَأْ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١] وَإِنْ قَالَ: لَا، قَالَ: اذْهَبْ، تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَ الْعِلْمَ»^(٢).

اختار الإمام الأوزاعي آية قوية في الموارث، ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾؛ لا يأتي بها كما هي إلا المتقن لحفظ كتاب الله عز وجل.

فحفظ القرآن يكون من الأوائل، لكن يكون بعد أخذ شيء من العقيدة، وأخذ ما يجب تعلمه في مسائل الطهارة، في أحكام الصلاة... «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»^(٣).

وأما الاتجاه الكلي إلى الدروس فيكون بعد حفظ القرآن؛ لأن القرآن أصل العلوم.

﴿الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ﴾



(١) رواه ابن ماجه في «سننه» (٦١)، وذكره والدي في «الصحيح المسند» (٢٧٣).

(٢) رواه الخطيب في «أخلاق الراوي وآداب السامع» (١٠٨/١)، وسنده صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه في «سننه» (٢٢٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وله طرق وشواهد كثيرة.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (الأولى العلم) ثم فسّره، وقال: (وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ..). هذه الثلاثة الأمور في تفسير العلم: معرفة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ومعرفة الرسول، ومعرفة الإسلام هي التي يُسأل عنها الميت في قبره.

أما معرفة الله **سُبْحَانَهُ**، فنعرفه بأنه الرب الواحد المعبود وحده لا شريك له، ونعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يتم معرفة الله **عَزَّوَجَلَّ** إلا بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

ولهذا الله **عَزَّوَجَلَّ** يذكر أوصافه لعباده؛ ليعرفوه بها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا^(١)﴾.

ومن عرف الله **عَزَّوَجَلَّ** حق معرفته، عَظَّمَهُ وانقاد له وخضع له ولدينه وشرعه؛ ولهذا يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ^(٢)﴾ [الأنعام: ٩١]. أي: ما عَظَّمُوا الله حق تعظيمه.

ومن ازداد بالله علماً ازداد إيماناً وتعظيماً، وازداد عبادة لله **عَزَّوَجَلَّ** وديناً، وازداد خشوعاً وزهداً في الدنيا^(٢).

(١) قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٤/١٦٤): فأخبر أنه خلق العالم؛ ليعرف عباده كمال قدرته وإحاطة علمه، وذلك يستلزم معرفته، ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده.

(٢) روى الإمام الدارمي في مقدمة «سننه» (٤٠٠) عن سفيان وهو الثوري يقول: ما ازداد عبداً علماً فازداد في الدنيا رغبة إلا ازداد من الله بعداً. والأثر صحيح.

(وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ) أنه محمد بن عبد الله، أرسله الله ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أرسله الله رحمة للعالمين، وأن من أنكر عموم رسالته إلى الثقلين لا يكون مؤمناً؛ فإن الله ﷻ يقول: ﴿لَا نُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨].

ويقول النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

(وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ) وأنه دين الله الحق، من ابتغى غيره كان من الضالين الغاوين الخاسرين، قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(بِالْأَدِلَّةِ) أي: أن معرفة الله سبحانه، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام يكون بالأدلة: (قال الله، قال رسول الله ﷺ)، ولا يكون بأقوال الرجال وآرائهم، ولا يكون بالتقليد، وقد أنكر الله ﷻ على المقلدة في آيات كثيرة، كقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١]، هذه المسألة الأولى.

(١) رواه الإمام مسلم (١٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

المسألة الثانية، قال رحمه الله: (الثانية: العمل به) أي: العمل بالعلم، ولا يكون العلم نافعا إلا بالعمل به، وقد ذم الله عز وجل أهل الكتاب في آيات كثيرة على تركهم العمل، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

والعلم شجرة والعمل ثمرة، وما أحسن ما قال الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١٤): «فَلَا تَأْنَسُ بِالْعَمَلِ مَا دُمْتَ مُسْتَوْحِشًا مِنَ الْعِلْمِ. وَلَا تَأْنَسُ بِالْعِلْمِ مَا كُنْتَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ وَلَكِنْ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ قَلَّ نَصِيكَ مِنْهُمَا، وَالْقَلِيلُ مِنْ هَذَا مَعَ الْقَلِيلِ مِنْ هَذَا أَنْجَى فِي الْعَاقِبَةِ إِذَا تَفَضَّلَ اللَّهُ بِالرَّحْمَةِ، وَتَمَّ عَلَى عَبْدِهِ النُّعْمَةُ. اهـ المراد.

فلا يأنس أحدٌ بالعلم وهو مفرطٌ في العمل؛ لأن هذا علم لا ينفع؛ ولهذا من المعذنين في قصة الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من لا يعمل بعلمه، كما ثبت عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث، وفيه: «أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَتْ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ» (١).

(١) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَنَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيُثْلَغُ رَأْسُهُ، فَيَتَدَهَّدُ الْحَجَرُ

هذا يأخذ القرآن يقرأ، يحفظ، ولكنه يرفضه، يهجر العمل به، فكان جزاؤه هذا العذاب الشديد، يُشدخ ويُشق رأسه بحجر، هذا عذاب أليم، نسأل الله العافية، فهذا ترهيب وتخويف.

نحن لا نتعلم أخواتي في الله لأجل الثقافة، أو لأجل أن يقال، أو للسمعة، والرياء، إذا كانت هذه النية فإلى الهلاك والعياذ بالله، أو لأجل رفعة دنيوية وشهادة فانية، هذه نية سيئة، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]. فلا بد من الإخلاص والعمل بالعلم.

أهل العلم الذين يكتبون في الآداب يعتنون بذكر تحلي طالب العلم بالأخلاق وعمله بالعلم، حتى في كتب الحديث-كتب المصطلح- يذكرون هذا في آداب المحدث أن يعمل بعلمه، وما كان السلف يعرفون الشخص بعلمه فحسب، ولكن يعرفونه بعبادته وعمله، أما إذا كان علم بغير عمل فهذا من علماء السوء، وعدد من السلف منهم أبو حاتم الرازي وجماعة يقولون: ليتنا نجونا من هذا الأمر لا لنا ولا علينا. يعني: العلم.

هَذَا هُنَا، فَيَتَّبِعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ: «قُلْتُ هُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالَ لِي: انْطَلَقْ انْطَلَقْ» وفيه تفسيره بعد ذلك: «أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُنَلِّغُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ» رواه البخاري (٧٠٤٧).

و«يُنَلِّغُ» أي: يُشَدِّخُ وَيُفْضَخُ، ومثله: «إِذْ يُنَلِّغُوا رَأْسِي».

«مطالع الأنوار» (٥٤/٢).

قال ابن أبي حاتم **رَحِمَهُ اللهُ** في «الجرح والتعديل» (١/٦٢): كانوا يتخوفون من أفضل أعمالهم.

وقد كانوا **رَحِمَهُمُ اللهُ** يرحلون، ويقطعون المسافات والفيافي والقفار في الرحلة لطلب العلم، ويصبرون على السهر والجوع وشظف العيش، حتى ربما انقطعت ببعضهم النفقة كما حصل للمحمدين، سافر مجموعة من المحدثين: محمد بن نصر المروزي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن جرير الطبري، ومحمد بن هارون الروياني فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة، قَالَ: فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع... من قبل والي مصر يدق الباب، ففتحوا الباب، فنزل عن دابته فقال: أيكم محمد بن نصر؟

ف قيل: هو هذا. فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قَالَ: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو ذا. فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قَالَ: أيكم محمد بن هارون؟ فقالوا: هو ذا. فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قَالَ: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا يصلي. فلما فرغ دفع إليه الصرة وفيها خمسون دينارًا. ثم قَالَ: إن الأمير كان قائلًا بالأمس، فرأى في المنام خيالًا قَالَ: إن

المحامد طووا كشحهم جياعا فأنفذ إليكم هذه الصرار، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلي أمدكم^(١).

رأوا رَحِمَهُمُ اللَّهُ أنه قد حلت لهم المسألة، وكلُّ منهم يتهرب من سؤال الطعام، فبينما محمد بن إسحاق بن خزيمة يصلي صلاة الاستخارة نزل الفرج من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصان الله عَزَّوَجَلَّ وجوههم عن ذلة السؤال، كرامة عظيمة لأولئك المحدثين. وابن أبي حاتم الرازي يقول: أَتَيْنَا يَوْمًا أَنَا وَرَفِيقُ لِي شَيْخًا، فَقَالُوا: هُوَ عَلِيلٌ، فَرَأَيْنَا فِي طَرِيقِنَا سَمَكَةً أَعْجَبْتَنَا، فَاشْتَرَيْنَاهُ، فَلَمَّا صَرْنَا إِلَى الْبَيْتِ، حَضَرَ وَقْتُ مَجْلِسِ، فَلَمْ يُمْكِنَا إِصْلَاحُهُ، وَمَضَيْنَا إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلَمْ نَزَلْ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَكَادَ أَنْ يَتَغَيَّرَ، فَأَكَلْنَاهُ نِيثًا، لَمْ يَكُنْ لَنَا فَرَاغٌ أَنْ نُعْطِيَهُ مَنْ يَشْوِيهِ. ثُمَّ قَالَ: لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةٍ الْجَسَدِ^(٢).

ومع هذه المتاعب في تحصيل العلم، يتخوفون من هذا العلم الذي حملوه، لا يكون حجة عليهم.

فهذه طريقة علمائنا يا أخوات الجدد والاجتهاد، والصبر والتحمل، وعدم المبالاة بالمعيشة، والذي رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى من الحالات الشديدة التي مرّت به، أنه كان إذا بقيت كسرة خبز يضعها في الخزانة، فربما عَشَّشَ عليها العنكبوت، فإذا احتاج لها أخذها ومسحها وأكلها، رَحِمَهُمُ اللَّهُ هِمٌّ عَالِيَةً.

(١) «تاريخ بغداد» (١٦٢/٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٦٦/١٣).

ومن سلفنا الصالح من كان يستصحب معه الكعك -الكعك ما يفسد سريعاً يبقى شهراً أو أكثر-، فإذا احتاج بله بين ماء حتى لا يتأخر في أكليه ثم يشربه.

عبد الرحمن بن يوسف بن خراش من المحدثين، هذا من الذي كانوا يرحلون في طلب الحديث، فنقد طعامه وشرابه، ووصل به الحال إلى أن شرب بوله، كما ذكر هذا عن نفسه، ونقله عنه الذهبي رحمته الله في «ميزان الاعتدال»، شرب بوله من شدة العطش، لكن هذا يا أخوات ابن خراش ما وُفق؛ فهو رجل رافضي، مع تعبته ورحلته وتحمله رجل رافضي، بل حكم عليه الذهبي بأنه ملحد ولم ينتفع بما تحمله من العلوم، ومع ذلك له نقولات في كتب الجرح والتعديل، وينقل عنه الحافظ ابن حجر رحمته الله في «تهذيب التهذيب» وغيره، لكن هذا حاله كما ذكر الذهبي رحمته الله (١).

والشاهد: أنهم كانوا يصبرون في تحصيل العلم.

إذاً لما قال غير واحد من السلف: ليتني نجوت من هذا الأمر لا لي ولا علي، ما السبب في هذا؟ فهمنا أيش السبب، يتخوفون من التقصير في العمل، من عدم الإخلاص.

(١) قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢/٦٠٠): عبد الرحمن بن يوسف بن خراش الحافظ...، هذا والله الشيخ المعثر الذي ضل سعيه؛ فإنه كان حافظ زمانه، وله الرحلة الواسعة، والاطلاع الكثير والاحاطة، وبعد هذا فما انتفع بعلمه، فلا عتب على حمير الرافضة وحوادث جزين ومشغرا. اهـ المراد.

وقال الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/١٨٥) في ترجمته: جهلة الرافضة لم يدروا الحديث ولا السيرة ولا كيف ثم، فأما أنت أيها الحافظ البارع الذي شربت بولك إن صدقت في الترحال، فما عذرک عند الله مع خبرتك بالأموور؟ فأنت زنديق معاند للحق، فلا رضي الله عنك.

قال رحمه الله: (الثالثة: الدعوة إليه) الدعوة إلى ما تعلمه، هذا من مراتب العلم: تبليغه ونشره، الدعوة إلى الله ما تكون في أول مرتبة، تكون بعد التعلم، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال والدي رحمه الله: وإذا كان الجاهل هم الذين يقودون الدعوات فأبشر بنكسات الدعوات^(١).

فالعلم له مراتب، قال سفيان الثوري: أوّل العلم الاستماع، ثمّ الإنصات، ثمّ الحفظ، ثمّ العمل، ثمّ النشر^(٢).

والدعوة إلى الله من أفضل الأعمال، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت].

وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

الدعوة إلى الله من بركة العلم، ومن العمل بالعلم^(٣)، ومن أسباب نماء العلم وثمرته، ومن خدمة العلم، وقد قال الشافعي رحمه الله: لَا يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ مَنْ يَطْلُبُهُ بِالتَّمَلُّكِ وَغِنَى النَّفْسِ فَيَفْلَحُ، وَلَكِنْ مَنْ طَلَبَهُ بِذِلَّةِ النَّفْسِ، وَضِيقِ الْعَيْشِ، وَخَدَمَةِ الْعِلْمِ أَفْلَحَ^(٤).

(١) تحفة المجيب (١٦٩).

(٢) أثر سفيان الثوري رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٧٦١)، وسنده صحيح.

(٣) من العمل بالعلم؛ لأنه يمثل أمر الله سُبحانه وتعالى في الحث على الدعوة.

(٤) رواه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٢٠٢).

فلا نكن إلى أنفسنا فقط؛ فإن هذا من البخل بالعلم.

ويدخل في الدعوة إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قد يجد مواجهات قاسية، هذا لا يستجيب له، وهذا يتعالى عليه، وهذا ينهره، فلا بد من التَّحَمُّل والصبر، والحكمة أيضاً، وكما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ فِي حَقِّ إِذَا رَأَهُ أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ^(١).

وكما قال والذي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في «مراجعة تدريب الراوي»: لا يُسَمَّى تركُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - في بعض الأوقات يظنه الشخص - حياءً، وهو بَلَاهَةٌ^(٢) ليس بحياء. والله المستعان، ف«الحياء خيرٌ كُلُّهُ».

ونسأل الله أن يوفقنا لنشر العلم وتبليغه صافياً، كما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المسألة الرابعة: قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ) الداعي إلى الله لا بُدَّ

أَنْ يُؤْذَى، وكما قال ربنا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ﴾^(٣٤)

(١) رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (٦١/١٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» (٤١٤) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) بَلَاهَةٌ مِنْ بَابِ تَعَبٍ، ضَعْفَ عَقْلُهُ فَهُوَ أَبْلَهُ، وَالْأُنْثَى بِلْهَاءٍ، وَالْجَمْعُ بُلْهٌ، مِثْلُ: أَحْمَرٌ وَحُمْرَاءٌ وَحُمْرٌ، وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ: خَيْرٌ أَوْلَادِنَا الْأَبْلَهُ الْعُقُولُ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَشِدَّةِ حَيَاتِهِ كَالْأَبْلَهُ، فَيَتَغَاوَلُ وَيَتَجَاوَرُ، فَشَبَّهَ ذَلِكَ بِالْبَلْهِ بِحَازَا.

«المصباح المنير» (٦١).

[الأنعام: ٣٤]. وقال النبي ﷺ «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^(١).

فيجب الصبر على الأذى في سبيل الله.

﴿قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْعَصْرِ ﴿٢﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٤﴾ [العصر]﴾﴾

(وَالدَّلِيلُ) أي: دليل الأربع المسائل.

﴿وَالْعَصْرِ﴾ أقسم الله عزَّ وجلَّ بالعصر، وهو الزمن.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ أي: كل الناس في خسارة إلا من توفر فيهم أربع صفات: إيمان، وعمل صالح، والدعوة إلى الله، والتواصي بالصبر.

﴿قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: (قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكَفَتْهُمْ)﴾

الشافعي من هو؟ محمد بن إدريس رَحْمَةُ اللَّهِ.

وهذا كما قال الشيخ ابن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ هنا في «شرح ثلاثة الأصول» (٢٧): مراده

رَحْمَةُ اللَّهِ أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان، والعمل

(١) رواه البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة. اهـ.

﴿قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)﴾

قول البخاري في «صحيحه» في كتاب العلم.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)

فالعلم هو القائد للعمل، العلم متبوع والعمل تابع، والدليل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

هذا درسنا باختصار، نسأل الله عز وجل أن يوفق الجميع لكل خير، واستفدنا هذه المسائل الأربع التي يجب على كل مؤمن أن يتعلمها، وهي مجموعة في سورة العصر، وبارك الله فيكن.

أَسْئَلَةُ الدَّرْسِ الْأَوَّلِ:

١. من مؤلف كتاب «ثلاثة الأصول»؟
٢. ماذا تفيد الباء في (بِسْمِ اللَّهِ)؟
٣. ما معنى لفظ الجلالة (الله)؟
٤. ما معنى (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)؟
٥. لماذا بدأ المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ كتابه بالبسملة؟
٦. ما حال حديث: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ»؟
٧. العلم على قسمين فرض عين وفرض كفاية فما تمييز كل منهما؟
٨. ما هي المسائل الأربع التي يجب على المسلم تعلمها، مع الدليل؟
٩. ما الدليل على عموم رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للثقلين؟
١٠. ما معنى قول الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكَفَتْهُمْ؟
١١. ما الدليل على أن العلم يكون قبل القول والعمل؟

الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٢)

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعْلَمُ ثَلَاثَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ.﴾

الأولى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا؛ فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾ [المزمل: ١٥-١٦]. ﴿

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا) الخالق هو الله عَزَّوَجَلَّ وحده، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]. وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]. وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

فنؤمن بأن الله سُبْحَانَهُ هو الخالق.

وقد يُقال للمخلوق: إنه يخلق، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنْ

اللَّهِو وَمِنَ التَّجَرَّةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: ١١]. «خير» أفعال

تفضيل تدل على المشاركة وزيادة^(١)، فالآية تفيد أن هناك من المخلوقات من يخلق.

ولكن خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ للكائنات من عَدَمٍ، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ

لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، وأما خَلَقَ المخلوق فمن وجود.

وَخَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن قوة وقُدرة، أما خلق المخلوق فعلى حاله يعتريه العجز

والضعف والتعب والعناء.

وخلق الله العلوي والسفلي كله عن تناسق وإحكام وإتقان، قال سُبْحَانَهُ:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ الَّذِي خَلَقَ

سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ

ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وهذا دليل على أن الله عَزَّوَجَلَّ هو المتفرد بالخلق، إحكام المخلوقات: السماء،

والأرض، والجبال، والشمس، والقمر، والنباتات، والأزمان: الشتاء، الصيف، الليل

والنهار، ولا يسبقُ هذا هذا، وإنما تتعاقب، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ

تُدرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٥﴾﴾ [يس].

(١) «خير، وكذا شر» أفعال تفضيل، وأصلهما «أخير، أشر»، وحُذِفَتِ الهمزة تخفيفاً.

وخلق الله ﷻ يدل على كمال علمه وشموله، لا يخفى عليه شيء.

ولهذا ربنا سبحانه في جملة من الآيات يقرن بين ذكر الخلق والعلم، كقوله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]. وقوله سبحانه:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:

١٢].

وقد كان كفار قريش يُقرّون بأن الله هو الخالق، كما قال سبحانه: ﴿وَلَّيْنِ

سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي

يُؤْفِكُون﴾ [العنكبوت: ٦١].

والله ﷻ يحاجّهم إذا كتّم تقرون بأن الله هو الخالق، فيلزمكم أن تقرّوا بأن الله

ﷻ هو الواحد في ألوهيته لا شريك له؛ لأن الخلق يدل على أن الله هو المستحق

للعباداة وحده لا شريك له، يقول سبحانه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. وقال سبحانه: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَّا يَخْلُقُ شَيْئًا

وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، وقال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا

خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

وإذا جاءت وسوسة وأفكار رديئة في الشك أن الله **عَزَّجَلَّ** هو الخالق للكائنات، فعلينا بعلاجه وقطعه، روى الامام مسلم (١٣٤) عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ».

وفي رواية: «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّخِذْهُ (١)، وعند أبي داود (٤٧٢٢): «فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، ثُمَّ لِيَتَفَلَّحْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ».

فهذا علاج لهذه الوسوسة، والمبادرة إلى قطعها والانكفاف عنها.

وإذا دافعها المسلم فإنها لا تضره؛ لأن هذا يدل على إيمانه وعقيدته، روى الإمام مسلم (١٣٢) عن أبي هريرة، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ».

«صَرِيحُ الْإِيمَانِ» أي: خالصه. فإذا نفرت النفس من هذه الأفكار الرديئة، والوساوس الشيطانية، فهذا يدل على صحة إيمانها، نسأل الله أن يحفظ لنا ديننا وإيماننا.

هل فيه من تنعس وقت الدرس؟

التي تشارك في الكتابة ما تنعس، لكن التي تبقى مستمعة قد يأتيها النعاس.

(١) روى البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّخِذْهُ».

ورحم الله والدي وغفر له، كان أحياناً إذا وجد في الدرس نعساناً^(١)، يقول له: قُمْ، أيها النعسانُ. فيقومُ، ويذهبُ النعاسُ، ثم يجلسُ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَرَزَقْنَا) الرزاق هو الله عَزَّجَلَّ، كما قال ربنا سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

ومن حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ جَعَلَ أرزاق العباد متفاوتة، قال عَزَّجَلَّ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْحَارًا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٢) [الزخرف: ٣١-٣٢]. ﴿سُلْحَارًا﴾ أي: يسخر بعضهم لبعض، ليس من السخرية وهو الاستهزاء والاحتقار، لكن المراد: يسخر بعضهم لبعض، فالتاجر يحتاج إلى الفقير، إلى خدمته ومعونته، والفقير يحتاج إلى الغني لماله وعطائه، فلولا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل الأرزاق متفاوتة لتعطلت هذه الحكمة.

وعلى المسلم أن يرفق بنفسه في طلب الرزق؛ لأن الأرزاق مكتوبة، كما في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في مراحل الجنين وذكر أنه ينفخ فيه الروح ويؤمر الملك بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد^(٢).

(١) نعسان: منصرف؛ لأنه مؤنثه تلحقه التاء، نعسانة.

(٢) روى البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٦) عن ابن مسعود قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَاقِبَةً مِّثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِّثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ

أما الكدح - بالكاف ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشقاق: ٦] - والانشغال بالمكاسب وطلب الأرزاق، كأنه خُلِقَ للعالم، فهذا مذموم، وهو من أسباب محو بركة الأرزاق وتباعدها.

فعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَفَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»^(١).
ومن أراد أن يأكل الدنيا أكلته؛ تضيّع وقته، وتلهيه عن آخرته، وتضيّق صدره، فنعوذ بالله من فتنة الدنيا.

ولا يفوت أحدا رزقه، روى ابن ماجه (٢١٤٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ؛ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِيَّ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حُرِّمَ».

«وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ» أي: اجعلوا طلبكم جميلاً في طلب الحلال، والاعتدال في طلب الأرزاق^(٢)، وهذا راحة من شقاء الدنيا ومتاعبها^(١).

كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتَسَبَ عَمَلَهُ، وَرِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٥)، وهو في «الصحيح المسند» (٣٥١) لوالدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

(٢) قال القاري في «مرقاة المفاتيح» (٣٣٢١/٨): أَيُّ: مِنَ الْإِجْمَالِ، أَيُّ: وَأَحْسِنُوا فِي الطَّلَبِ، أَيُّ: فِي تَحْصِيلِ الرِّزْقِ وَلَا تُبَالِغُوا فِي طَلَبِهِ.. أَوِ الْمُعْنَى اطْلُبُوا مِنَ الْحَلَالِ. اهـ المراد.

والدنيا فتنة، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوَّةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» رواه مسلم (٢٧٤٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

وهذا الحديث من أحاديث «رياض الصالحين»، وقد كان من طريقة والدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ الاعتناء كثيراً بِذِكْرِ الصَّحَابِيِّ وَمَنْ أَخْرَجَهُ، فنحن نسلِّكُ إن شاء الله هذه الطريقة، وَحَسَبَ تيسير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُمُ اللَّهُ: (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا) الله عَزَّوَجَلَّ لم يتركنا هملاً ولا سُدى قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً ۖ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۖ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۖ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۖ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُمْحِيَ الْمَوْتَ ۖ﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].

ومعنى سُدى: أي: لا يُؤمَّر ولا يُنهي، ومن غير ثواب ولا عقاب، ولا جنة ونار.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ

۝١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۖ﴾ [ص: ٢٧].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ

السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۖ﴾ [الحجر: ٨٥]. في آيات كثيرة تدل

أَنَّ الله عَزَّجَلَّ لم يخلق الخلق عبثاً، وإنما خلقهم لأمر عظيم وهو عبادة الله سُبحَانَهُ والتمسك بدينه وشرعه.

فهْمُنَا أخواتي في الله، هذه الآيات تتكرر في القرآن أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، هذا أيش نستفيد منه؟

نستفيد منه: الحث على توحيد الله عَزَّجَلَّ، والتمسك بهذا الدين الحنيف؛ ولهذا نفى ربنا سُبحَانَهُ المساواة بين المسلم والفاسق، قال عَزَّجَلَّ: ﴿أَفَنَجْعُلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [٣٥] مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجن: ٢١]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

هذه الأدلة في نفي المساواة بين المسلم والفاسق، بين البرِّ والفاجر، فلا ينبهر المسلم -حفظكن الله- مثلاً: بجمال الكافر، أو أخلاقه إن وُجدت، كالصدق في معاملته، وأمانته، وبشاشته، لا ينبهر المسلم ولا يغتر بهذا، هذا من شأن العوامِّ هم الذين يغترون بالمظاهر، وربما أثنوا على الكافر وأنه أحسن من المسلم؛ لأنه يتسم مثلاً، لأن معاملته طيبة إلى غير ذلك. وهذا كلام خطير.

وهذه أخطاء عند بعض المسلمين، حتى إن والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ يقول: بعض الكفار من أراد أن يسلم يقول: نحن نجد عندكم -أي: عند المسلمين- الغش، الكذب، الخيانة. فيتقاعسون عن الإسلام بسبب أفعال بعض المسلمين المشينة،

فوالدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول: الإسلام بريء من هذا، وإنما هذه الأفعال من بعض المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (بَلْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا) هذا بيان أن الله عَزَّجَلَّ لم يتركنا هملاً، فالله عَزَّجَلَّ أرسل إلينا رسولاً؛ لنعبده ونطيعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

قوله: (فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)

يجب علينا وعلى هذه الأمة جميعاً طاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ واتباعه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]. وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]. ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(١).

(١) رواه البخاري (٧٢٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

ويقول النبي ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجُنَادُ بِهَا وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْلَتُونَ مِنْ يَدَيَّ»^(١).

العلم بالأدلة، فتُحفظ المسألة بدليلها مع الفهم إن شاء الله، هذه عقيدة، هذا توحيد، هذا دين.

«فَجَعَلَ الْجُنَادُ بِهَا» الجناد: نوعٌ من الجراد^(٢).

نستفيد من هذه الأدلة: أن طاعة النبي ﷺ نجاة من النار، ومن لم يتبع النبي ﷺ فهو من أهل النار، وتقدم لنا أيضًا في هذا المعنى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم (١٥٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَفَصَّىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾) [المزمل: ١٥-١٦] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ يعني: نبينا محمدًا ﷺ.

(١) رواه مسلم (٢٢٨٥) عن جابر بن عبد الله.

(٢) في «النهاية» (٣٠٦/١): الجناد جمع جُنْدَب - بِضَمِّ الدَّالِّ وَفَتْحِهَا - وَهُوَ: ضَرْبٌ مِنَ الْجَرَادِ.

وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يَصْرُ فِي الْحَرِّ.

وَيُنْظَرُ: «شرح صحيح مسلم» (٥٠/١٥)، و«فتح الباري» (٤٦٤/٦).

﴿شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾، أي: أنه بلغ رسالة ربه إليكم، وكما قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. فبينما محمد ﷺ يشهد في عرصات القيامة أنه بلغ هذه الأمة المحمدية الرسالة.

و في عدد من الأحاديث، يُشهدُ النبي ﷺ الله سبحانه وتعالى بأنه بلغ الرسالة، وكان الصحابة رضي الله عنهم يشهدون أنه بلغ الرسالة، كحديث جابر الطويل في حجة الوداع، حذر النبي ﷺ من التعامل بالربا، وعلم مناسك الحج، وأوصى بالنساء خيرا، وغير ذلك، ثم قال: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»، قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ» ثلاث مرات. أي: أنه ﷺ قد بلغ أمة الرسالة.

ونحن نشهد أن النبي ﷺ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة حتى أتاه اليقين.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ من هو

النبي الذي أرسله الله عز وجل إلى فرعون؟

تجيب التلميذة الصغيرة: موسى عليه الصلاة والسلام.

﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ ﴿وَبِيلًا﴾ أي: شديداً، وكما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٥﴾﴾ [النازعات: ٢٥]. أما في الدنيا فأغرقه الله عَزَّجَلَّ، وأما في الآخرة فيدخله الله عَزَّجَلَّ النار، قال عَزَّجَلَّ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

هذه الآية من أدلة أي مسألة في العقيدة؟

تجيب الطالبة: من أدلة عذاب القبر.

المسألة الثانية:

قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ:

﴿الثَّانِيَّةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾﴾ [الجن: ١٨].

وهذا هو توحيد الألوهية، توحيد الله على ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الربوبية: إفراد الله عَزَّجَلَّ بالملك والخلق والتدبير.

وهذا معنى قولهم توحيد الربوبية: توحيد الله في أفعاله، بعضهم يقول: توحيد الربوبية توحيد الله في أفعاله. هذا يشمل هذه الثلاثة الأمور: إفراد الله بالملك والخلق والتدبير.

وتوحيد الألوهية وهو: إفراد الله بالعبادة.

وتوحيد الأسماء والصفات وهو: ألا نسمي الله ولا نصفه إلا بما جاء عن الله

وعن رسوله ﷺ.

وبعضهم يزيد في أقسام التوحيد توحيد الحاكمية، وهذا لا معنى له؛ لأنه داخل في توحيد الألوهية، فهو جزء من توحيد الألوهية.

ومعنى الحاكمية التحاكم إلى الكتاب و السنة عند التنازع، وهذا من فعل العبد فيوحد الله في ذلك، إذا تحاكم يعود إلى الكتاب و السنة.

و يجوز أن يكون توحيد الحاكمية داخلا في ضمن توحيد الربوبية؛ لأن الله

عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]. وعلى هذا يكون داخلا في أفعال الله سبحانه.

(لَا مَلِكٌ مُّقَرَّبٌ) أي: من المقرين عند الله سبحانه، مثل: جبريل عليه الصلاة والسلام؛

لأن الملائكة تتفاوت مراتبهم.

فالله عز وجل لا يرضى بالشرك، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]. وقال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا

اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا [النساء: ٣٦]. وروى مسلم (٢٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ».

فلا يجوز دعاء غير الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولا الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه، ولا الذبح لغير الله، ولا النذر لغير الله إلى غير ذلك؛ لأن توحيد الألوهية توحيد الله في أفعال العباد، ولا يجوز أيضًا الرياء في الأعمال الصالحة هذا من الشرك، **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾** [البينة: ٥].

يقول **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾** (١٨) في هذه الآية: تطهير المساجد من الشراكيات والبدعيات، وكما قال سبحانه: **﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾** [الحج: ٢٦].

فالمساجد محترمة، يجب تنزيهاها عن الشراكيات والبدعيات والخرافات والنجاسات والأقذار، النبي ﷺ يقول: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» رواه مسلم (٢٨٥) عن أنس بن مالك.

وربنا عز وجل يقول: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَ يُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]. فينبغي معرفة آداب المساجد وأحكامها.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿الثالثة: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادٍّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]﴾

هذه المسألة الثالثة: تجنب موالاته الكافرين، ولو كانوا أقرب قريب كالأب والأم كما في هذه الآية ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، وهذا من عقيدتنا: الحب في الله والبغض في الله.

ونستفيد من هذه الآية وما في معناها: أن رابطة العقيدة أقوى من رابطة النسب، فقد يكون لنا إخوة وأخوات في الله في المشرق أو المغرب ونحبهم في الله عز وجل.

وقد يكون الأخ من النسب كافراً فيجب بغضه ومعاداته، والحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان.

وهذه الآية معناها في أدلة كثيرة، كقوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]. وقوله سبحانه: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧].

هناك محبة طبيعية هذه تجوز، يجوز للمسلم أن يحب الكافر غير المحارب محبة طبيعية؛ لقرايته، أو لإحسانه وحُسن معاملته؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

هذه الآية نزلت في أبي طالب عم النبي ﷺ، وقد مات على الكفر، وكان النبي ﷺ يحبه محبة طبيعية، يعني: جبلية غريزية ليست محبة دينية، والمحبة الجبلية لا يملكها الإنسان.

وقوله سبحانه: ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي: أقرباءهم.

﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ ومن ثبت الإيمان في قلبه فلن يتزحزح بإذن الله عن دينه، ولن تؤثر فيه الشبهات ولا الشهوات، وكما قال ربنا عز وجل: ﴿وَلَا يَكُنْ

اللَّهُ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ [الحجرات: ٧].

وهرقل -ملك الروم- قال لأبي سفيان: وَسَأَلْتُكَ أَيَّرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ
يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ^(١).
وندعو نحن بدعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً
مَهْدِيِّينَ»^(٢).

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَيَّدَهُمُ﴾، أي: وقوَّاهم ببرهان منه ونور وهدى^(٣).
﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾، أي: بنصرٍ منه^(٤).

(١) رواه البخاري (٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣) عن أبي سفيان صخر بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٦٥/٣٠).

(٣) «تفسير ابن جرير» (٢٥٨/٢٣).

(٤) قال ابن القيم في «الروح» (١٥٣): الروح في القرآن على عدّة أوجه:

أحدها: النُفْسُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وَاسْمُ النُّفْسِ رُوحًا، لما يحصل به من حَيَاةِ
الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ.

الثاني: الْقُوَّةُ وَالثَّبَاتُ وَالنَّصْرَةُ الَّتِي يُؤَيِّدُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، والدليل آية المجادلة المذكورة.

الثالث: جَنَرِيلٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

الرابع: الرُّوحُ الَّتِي سَأَلَ عَنْهَا الْيَهُودُ فَأُجِيبُوا بِأَنَّهُمَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا
أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

الخامس: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ
مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]. اهـ المراد مع إضافة بعض الآيات.

أسئلة الدرس الثاني:

١. ما الدليل على أن الله خلقنا؟
٢. الله عزَّوجلَّ يقرُن بين ذِكْرِ الخلق والعلم في جملة من الآيات، اذكر آيتين منها؟
٣. لماذا خلقنا الله عزَّوجلَّ مع الدليل؟
٤. من وحد الله عزَّوجلَّ في ربوبيته فإنه يلزمه أن يوحد الله في ماذا؟
٥. ماذا يجب على المسلم تجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟
٦. ما معنى ﴿وَيْلًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا﴾؟
٧. حديث «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ» من صحابه ومن أخرجه؟
٨. اذكر أقسام التوحيد مع تعريف كل قسم منها؟
٩. لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله فما الدليل على ذلك؟
١٠. قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مَنِ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ) ما الدليل على هذه المسألة في عدم موالاتهم؟

الدرس (٢)

الدرس الثالث

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] ﴿الذاريات: ٥٦﴾. وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ: يُوحِّدُونَ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

تقدم المراد بـ (اعلم) أنها كلمة يؤتى بها؛ لتنبية المخاطب على أهمية الأمر.

(أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ) فيه تلمظ الإمام النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ في عبارته، وقد تقدم في

أول الكتاب (اعلم رَحِمَكَ اللَّهُ) وههنا يدعو أيضًا للمخاطب وللطالب بالرشد.

والرشد: ضد الغي، قال سُبْحَانَهُ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾

[البقرة: ٢٥٦].

والرشد نأخذه من كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

عن مؤمني الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ

نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝﴾ [الجن: ١-٢].

ولن يكون أحد من الراشدين إلا بصفتين: الإيمان بالله سبحانه وحده لا شريك له، والامثال لأمره، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ومن أدعية الفتيّة أصحاب الكهف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]. هذا دعاء عظيم جامع لكل خير، وأنه عند الشدائد واستغلاق الأمور، يدعو الإنسان بهذا الدعاء، والنبى ﷺ علم الصحابي حصينا والد عمران أن يقول: «قُلِ: اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى رُشْدِ أَمْرِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَخْطَأْتُ، وَمَا عَمَدْتُ، وَمَا عَلِمْتُ، وَمَا جَهِلْتُ»^(١).

«وَاعْزِمْ لِي» من العزيمة، وهذا من أدعية العزيمة، من أدعية الهمة، والإنسان قد يكون محباً للخير، يريد أن يكون من حفظة القرآن، ومن العباد، المسابقين إلى الخير، لكن ينقصه العزيمة، فالدعاء بالصدق في العزيمة عون بإذن الله عز وجل على تحقيق المراد^(٢).

(١) رواه الإمام النسائي رحمه الله في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٣).

(٢) قال ابن رجب كما في «مجموع رسائله» (٣٤٣/١): العزيمة على الرشد مبدأ الخير؛ فإن الإنسان قد يعلم الرشد وليس له عليه عزم، فإذا عزم على فعله أفلح.

والعزيمة: هي القصد الجازم المتصل بالفعل.

وقيل: استجماع قوى الإرادة على الفعل.

ومن أدعية الرشد: ما رواه الإمام أحمد (٣٣٨/٢٨) عن شداد بن أوس قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا كَثَرَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَانْكَزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»، فنسأل الله أن يجعلنا من الراشدين، الهادين المهديين.

(لِطَاعَتِهِ) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شرح ثلاثة الأصول» (٣٧): الطاعة: موافقة المراد، فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور.

(أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)

الحنيف: هو المقبل على الله المعرض عما سواه^(١).

فمن أقبل على الله عَزَّوَجَلَّ، وأعرض عن الشراكيات والبدعيات فهو من الحنفاء.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَأْمُرُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿أَنْ اتَّبِعَ مِلَّةَ

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]. وأُمته

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَ لَهُ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ

نَفْسَهُ وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

[البقرة: ١٣٠]. ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: خسر نفسه.

(١) كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عدة الصابرين» (١١٨).

في هاتين الآيتين: الأمر باتباع ملة نبي الله براهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقال عَزَّجَلَّ في الاقتداء بالأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ

أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. يقتدي بهم في التوحيد، وفي مكارم الأخلاق، في الدعوة والتعليم، إلى غير ذلك من خصال الخير والشييم.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام دينهم واحد من حيث أصول التوحيد والعقيدة

والمكارم، وأما شرائعهم فمختلفة كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً

وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].

وفي «الصحيحين»^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أُولَى

النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ» قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ»^(٢).

الشاهد: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ...، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» أولاد عِلَاتٍ أي: أمهاتهم

شَتَّى، وهم لأب واحد.

وهذه مسألة: أولاد الضرائر، يقال: لهم أولاد عِلَاتٍ، والضرة: عِلَّةٌ، عِلَاتٌ جمع

عِلَّةٍ، وهي الضرة، فالضرة يقال لها: عِلَّةٌ^(٣)، ويقال لها: جارة، ويقال لها: أخت.

ويقال للأولاد من أب وأم: أولاد الأعيان؛ لأنهم من عين واحدة.

(١) البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) واللفظ له.

(٢) أي: ليس بين نبي الله عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي.

(٣) بفتح العين، أمّا بكسرهما عِلَّة، فهي المرض.

ويقال للأولاد لأم: الأخياف^(١).

(مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) فيه أن ملة أبينا إبراهيم فيها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ منكرًا على قومه عبادة غير الله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [١٥] وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [الصفات: ٩٥-٩٦].

(مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) ولا تقبل العبادة إلا بالتوحيد والإخلاص ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. وروى مسلم (٢٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ».

فعلينا بأن نحرص على الإخلاص، وأن نحذر من شوائب الرياء ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

ومعلوم أولئك الثلاثة الذين هم أول من تسعّر بهم النار: وأحدهم قارئ للقرآن يقول الله عزَّ وجلَّ له: ماذا عملت؟ يقول: قرأت القرآن وعلمته، فيقول الله عزَّ وجلَّ له:

(١) أولاد الأخياف؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَخْيَافِ الرِّجَالِ، أَي: أَخْلَاطِ الرِّجَالِ. «طرح الشريب» (٢٤٣/٦).

كذبت، إنما فعلت ليقال قارئ، ثم يسحب إلى النار، نعوذ بالله، وهكذا المتصدق والمجاهد^(١).

وروى البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦) عَنْ جَنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ».

فعلينا بأن نحاسب أنفسنا، لا يذهب العمل هباءً منثورًا، وتذهب الجهود والأوقات سُدىً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في «الفوائد» (٤٩): الْعَمَلُ بِغَيْرِ إِخْلَاصٍ وَلَا اقْتِدَاءٍ كَالْمَسَافِرِ يَمْلَأُ جَرَابَهُ رَمْلًا يَثْقَلُهُ وَلَا يَنْفَعُهُ.

الجراب: الوعاء، فبدلاً من أن يأخذ له المسافر متاع السفر وزاده، يأخذ في الجراب تراباً، فما يتتفع به يثقله ولا ينفعه، هذا مثلٌ للذي لا يخلص عمله لله عَزَّوَجَلَّ، أو يتبع ما يوافق هواه، فلا بد من الاقتداء والإخلاص.

فنحتاج إلى تفقّد أنفسنا، وأن نحرص على إصلاحها وتركيتها، قال والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في «السير الحثيث شرح مختصر علوم الحديث» (٢٨٧): ولن يبارك

(١) رواه مسلم (١٩٠٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأَتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأَتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

الله، ولن يوفق الله أيضًا شخصًا إلا إذا كان مخلصًا لله، نسأل الله العظيم أن يرزقنا الإخلاص، وأن يعيننا على أنفسنا. اهـ.

فمن أسباب عدم التوفيق، ونزع البركة: فقد الإخلاص، فالإخلاص شأنه عظيم في توفيق الله سبحانه للعبد، وبركة علمه ونمائه، نسأل الله أن يعيننا على مجاهدة أنفسنا. وبالتأمل في ضعف المخلوق يعين على إخلاص العمل لله عز وجل، فالمخلوق ضعيف عاجز، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، كذلك الإيمان بالقدر أيضًا يعين على الإخلاص، العلم النافع أيضًا يهذب ويعين على صلاح السيرة؛ لأنه تمر الآيات والأحاديث في الحث على الإخلاص، في فضل الإخلاص وبركته، والتحذير من الرياء والوعيد عليه، فيُصلح العلم بإذن الله تعالى.

قال رحمه الله: (وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ: يُؤَحِّدُونَ)

أي: أمر الله سبحانه وتعالى بعبادته وحده لا شريك له، والدليل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦]، هذه الغاية من خلق الثقلين -الإنس والجن- أن يعبدوا الله وحده.

قال: (وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ: يُؤَحِّدُونَ) هذا تفسير ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾.

وقال بعضهم: إلا لأمرهم وأنهم، وهذا التعريف أعم يدخل فيه توحيد الله عز وجل، وغيره من الأوامر والنواهي.

ومما يؤيد القول الثاني أن شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** قال: **الْعِبَادَةُ هِيَ: اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ^(١).**

والعبادة في اللغة: الخضوع والتذلل، يقال: طريق معبدٌ، أي: مدللٌ.

هذه الآية **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** **(٥٦)** فيها ردٌّ على حديث: **«لولاك يا محمد ما خلقت الدنيا»**، وهذا الحديث موضوع^(٢)؛ يردده أدلة كثيرة: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** **(٥٦)**، **﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾** **(٩٩)** [الحجر: ٩٩]. **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** **(١٢)** [الطلاق: ١٢]. أي: خلق الله **عَزَّوَجَلَّ** السماوات والأرض؛ لتعرفوه بأسمائه وصفاته، فهذا الحديث باطل.

(١) «العبودية» (٤٤).

وقال ابن كثير في تفسيره: أي إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «القول المفيد» (٢٦/١): **فُسرَ: إلا ليوحدون**، وهذا حق، وفسر: بمعنى يتذللون لي بالطاعة فعلا للمأمور، وتركوا للمحذور، ومن طاعته أن يوحد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٢٢٨) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِي مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ»**.

قال الذهبي في «تلخيص المستدرک»: موضوع.

وذكره الشيخ الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢٨٢).

والعبودية قسمان: عبودية عامة، وهي: عبودية القهر والملك، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:

﴿إِنْ كُلٌّ مِّنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿٩٣﴾ [مريم: ٩٣].

وعبودة خاصة، وهي: عبودية امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، قال **سُبْحَانَهُ**:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. وقال **سُبْحَانَهُ**: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]. (١).

العبودية الخاصة هي التي تنفع، وهي التي فيها النجاة من النار، أما عبودية القهر والملك فهي بغير اختيار أحد، وهي ملك لله، الكل عبيد لله **عَزَّوَجَلَّ**.

سؤال: هل الكافر عبد لله أم لا؟

الطالبات يجيبن: نعم، عبد لله.

عبد لله **عَزَّوَجَلَّ**، بالمعنى العام أم بالمعنى الخاص؟

الطالبات يجيبن: بالمعنى العام.

نعم صحيح، بالمعنى العام. ﴿إِنْ كُلٌّ مِّنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى

الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿٩٣﴾ [مريم: ٩٣].

(١) قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «مدراج السالكين» (١/١٢٥): الْعُبُودِيَّةُ نَوْعَانِ: عَامَّةٌ، وَخَاصَّةٌ.

فَالْعُبُودِيَّةُ الْعَامَّةُ: عُبُودِيَّةُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّهِمْ لِلَّهِ، بَرَّهِمْ وَفَاجَرِهِمْ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، فَهَذِهِ عُبُودِيَّةُ الْقَهْرِ وَالْمُلْكِ.

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فَعُبُودِيَّةُ الطَّاعَةِ وَالْمُحَبَّةِ، وَاتِّبَاعِ الْأَوْامِرِ.

فَالْخُلُقُ كُلُّهُمْ عِبِيدُ رَبُّوبِيَّتِهِ، وَأَهْلُ طَاعَتِهِ وَوِلَايَتِهِ هُمْ عِبِيدُ إِلَهِيَّتِهِ. اهـ المراد.

وبعضهم يزيد عبودية خاصة الخاصة: من الأنبياء، والمسابقين من أولياء الرحمن. وقد استفدنا من والدي **رَحْمَةُ اللَّهِ** أن هذا التعبير تعبير صوفي؛ الأولى تركه -عبودية خاصة الخاصة-.

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: **(وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ)**
أعظم ما أمر الله به التوحيد، قال سبحانه: **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾** [الإسراء: ٢٣].

والتوحيد أعظم حسنة، كما أن الشرك بالله أعظم معصية.
(وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ) هذا توحيد الألوهية، وهو الذي يحتاج الأنبياء قومهم عليه: **﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾** [الأعراف: ٩٥]. وفي آيات كثيرة الله **عَزَّ وَجَلَّ** يحتاج مشركي قريش على إقرارهم بتوحيد الربوبية وإنكارهم توحيد الألوهية؛ لأنه يلزم من أقر بتوحيد الربوبية أن بقر بتوحيد الألوهية، فالله **عَزَّ وَجَلَّ** يحاجهم: **﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُوَفِّكُونَ﴾** [الزخرف: ٨٧]. **﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [لقمان: ٢٥]. **﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [٨٤] **﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** [٨٥] **﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [٨٦] **﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾** [٨٧] **﴿قُلْ مَن**

بِيَدِهِ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وهذه قاعدة يذكرها أهل العلم في محاجة من أقر بتوحيد الربوبية يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية، أما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، فمن أقر بتوحيد الألوهية يدخل في ذلك توحيد الربوبية، يعني: أنه موحد لله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته.

إذا ما الذي فهمناه في هذه المسألة بارك الله فيكن؟

ما يتعلق بتوحيد الربوبية: يلزم من أقر بتوحيد الربوبية أن يوحد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي** ألوهيته، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وهناك شروط لتوحيد الألوهية من تقرأ البيتين، تفضلي؟

الطالبة تحيب:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقٌ مَعَ ❀ **مَحَبَّةٌ وَانْقِيَادٌ وَالْقَبُولُ لَهَا**

وزيد ثامنها الكفران منك بما ❀ **سوى الإله من الأنداد قد ألهأ**

صحيح أحسنت، هذه كم؟ ثمانية شروط:

(عِلْمٌ) العلم المنافي للجهل، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ

لِدُنْيِكَ﴾ [محمد: ١٩].

(يقين) اليقين المنافي للشك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ

هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ [الحجرات: ١٥]. ﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يشكُّوا. وقال سبحانه: ﴿وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [التوبة: ٤٥].
(وإخلاص) الإخلاص أن يقولها مخلصاً يبتغي بذلك وجه الله ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وفي «صحيح البخاري» (٤٢٥) عن عِثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ». (وصدقك) الصدق المنافي للكذب ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ﴿٢١﴾ [محمد].

فلا بد أن يقول: لا إله إلا الله بلسانه وقلبه، ما يكفي النطق وحده، قال الله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾ [البقرة: ٨] ^(١).

(محبة) المحبة لهذه الكلمة وما دلت عليه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(١) وعن أنس بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِيًا. رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(وانقياد) ينقاد لتوحيد الله عزَّجَل، ويستسلم، قال سبحانه: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور﴾ [لقمان: ٢٢].

(والقبول لها) يعني: لا يردُّها كما قال الله تعالى عن مشركي قريش: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦]. فأبطل الله سبحانه وتعالى قولهم، وقال عقبها: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].

الشرط الأخير، وهو الشرط الثامن: (وزيد ثامنها الكفران منك بما... سوى الإله من الأنداد قد ألهها) البراءة من الشريكات، فلا يكفي أن يقول: أنا موحد، والنصراني له دينه، واليهودي له دينه، لا يكفي هذا لا بد من البراءة، قال سبحانه وتعالى عن نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ

سَيَهِّدِينَ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

فهذه شروط كلمة: «لا إله إلا الله» كلمة التوحيد.

وبقي أركان «لا إله إلا الله»:

«لا إله إلا الله» لها ركنان: نفي، وإثبات. النفي في قوله: «لا إله» أي: نفي لجميع ما يُعبد من دون الله. «إلا الله» إثبات العبودية لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

(وَأَعْظَمَ مَا نَهَى عَنْهُ: الشُّرْكُ وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].)

أعظم ما نهى الله عنه: الشرك، قال سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. وسئل النبي ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟

قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ

تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ».

سؤال: من صحابي هذا الحديث، ومن أخرجه؟

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

ويقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في وصايا لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فهذه مسألة ومع ما قبلها نستفيد: أعظم ما نهى الله عنه: الشرك، والتي قبلها أيش؟ أعظم ما أمر الله به: التوحيد، بارك الله فيكن.

قوله **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (وَهُوَ دَعْوَةٌ غَيْرُهُ مَعَهُ) نص على دعاء غير الله، ويشمل كل عبادة تُصرف لغير الله، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١)، أي: معظم العبادة، فلا ينفي بقية أنواع العبادة.

والشرك على قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر.

سؤال: الشرك الأكبر ما هو يا ابنتي؟

الطالبة تجيب: هو مساواة غير الله بالله فيما هو خاص بالله.

صحيح، الشرك الأكبر، مساواة غير الله بالله فيما هو خاص بالله، قال الله تَعَالَى

عن أهل النار: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٩٧] إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿[الصافات: ٩٧-٩٨].﴾

الشرك الأصغر: ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، كما قال الشيخ ابن عثيمين.

ومن أمثلة الشرك الأصغر: يسير الرياء، وقول: ما شاء الله وشاء محمد، والحلف

بغير الله، إذا حلف بغير الله ولم يعتقد تعظيم المخلوق كتعظيمه لله أو أشد، فهذا شرك

(١) رواه أبو داود في «سننه» (١٤٧٩) عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، وهو في «الصحيح المسند» لوالدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

أصغر، أما إذا اعتقد تعظيم المحلوف به كتعظيمه لله أو أشد فهو شرك أكبر، فيكون على هذا التفصيل، بارك الله فيكن.

نكون إن شاء الله انتهينا، وأخذنا مسائل في تحقيق توحيد الألوهية، والحذر مما يناقض كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، فكم من إنسان يقول: «لا إله إلا الله»، وهو يدعو غير الله، ويستغيث بالموتى، ويطلب منهم: الولد، نزول المطر، يطلب منهم ما هو من خصائص الله، فهذا لم يوحد الله عز وجل، وإن قال: «لا إله إلا الله».



أَسْئَلَةُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ:

١. من هو الحنيف؟
٢. حديث: «الأنبياءُ إخوةٌ من عَلاتٍ، وأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ» من صحابي الحديث ومن رواه، وما معنى قوله: «الأنبياءُ إخوةٌ من عَلاتٍ»؟
٣. ما هي مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مع الدليل؟
٤. اذكر الدليل من الكتاب والسنة على أنه لا تقبل العبادة إلا بالتوحيد والإخلاص؟
٥. «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» من صحابه ومن أخرجه؟
٦. ما تعريف العبادة لغة واصطلاحاً؟
٧. إلى كم تنقسم العبودية، وما هي؟
٨. ما هو أعظم ما أمر الله به؟
٩. ما هي شروط توحيد الألوهية؟
١٠. ما معنى «لا إله إلا الله»، وما هي أركان «لا إله إلا الله»؟
١١. ما هو أعظم ما نهى الله عنه، مع ذكر الحديث الدال عليه؟
١٢. أقسام الشرك، مع تعريف كل قسم منها؟



الدرس الرابع

الدرس (٤)

قبل البدء بالدرس هنا تنبيه:

الجرس الذي في الجوالات والساعات يُجتنب، فقد ثبت عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ» رواه مسلم (٢١١٣).

وروى الإمام مسلم (٢١١٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ».

كذلك النغمات الموسيقية تُنَزَّهُ مجالس العلم عنها، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

ونخشى على حلقتنا من حرمان ثمار مجالس الذكر، وأن تنفر الملائكة من حضوره، وأن نُحرم نزول بركات مجالس الذكر، فيجب صيانة مجالسنا عنها. وكونه خُصَّ التنبيه على مجالس العلم، فهذا لا يعني إباحتها في بقية الأوقات؛ فالأدلة عامة في تحريمها.

وبعد هذا إليكم فتوى والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة في الجواب على سؤال:

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كما في «صحيح مسلم»: «لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا

كلب أو جرس» فكيف بجرس التلفون؟

جواب والدي: هو جرس، والواجب استبداله، ومن الناس من يستبدله بصوت طائر أو غير ذلك.

والجرس مأخوذ من اصطدام الجرمين، ويكون صوته كصوت الجرس.

وحديث: «لا تصحب الملائكة رُفقة فيها كلب أو جرس».

هذا الحديث عام في كل رفقة، وابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: المراد فيها نبي الله ^(١).

وكذا يقول في حديث أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا

تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة».

قال: «بيتاً» فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحديث عام، فمثل هذه الفلسفة لا نحتاج إليها.

(١) انظر المسألة هذه في «صحيح ابن حبان» كما في «الإحسان» (١٠/٤٧٠).

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ

الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهٗ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّنَا وَرَبِّيَ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ

سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٢].

وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ،

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا

بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا

تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝﴾ [فصلت: ٣٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ

يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ

وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٤].

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). هذه الأصول الثلاثة التي أَلْفَ المصنف النجدي رَحِمَهُ اللهُ هذا الكتاب من أجلها، وما ذَكَرَ قبل ذلك فهو تمهيد وتوطئة لهذا الموضوع.

وقد ذكر رَحِمَهُ اللهُ المسألة بصيغة سؤال؛ لتنبية الطالب للإصغاء، وهذه الطريقة مأخوذة من أدلة، منها:

عن زيد بن خالد الجهني أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ». وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ».

قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ».

وقد كان والدي رَحِمَهُ اللهُ يسلك هذه الطريقة معنا ومع طلابه.

وهذه الأصول الثلاثة: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، هي التي يُسأل عنها الميت في قبره، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل مدارسنا لهذه الأصول الثلاثة

سبباً لتثبيت الله عزَّ وجلَّ لنا، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) [الرعد: ٢٧].

تثبيت في الحياة الدنيا عن الفتن والشهوات والشبهات، وتثبيت عند الممات، أي: عند الاحتضار، والمحتضر لا حيلة له لولا تثبيت الله عزَّ وجلَّ له، وتثبيت في القبر عند سؤال الملكين، وهذه هي فتنة القبر: سؤال الملكين - منكر، ونكير - للميت في قبره عن هذه الثلاثة الأسئلة هي فتنة القبر، وقد خطب النبي ﷺ خطبة الكسوف وبين لهم ذلك، روى البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) عن أسماء، قالت: أتيت عائشة وهي تُصلي فقلت: ما شأن الناس؟ فأشارت إلى السماء، فإذا الناس قيام، فقالت: سبحان الله، قلت: آية؟ فأشارت برأسها: أي نعم، فقمْتُ حتى تجلاني الغشي، فجعلت أصب على رأسي الماء، فحمد الله عزَّ وجلَّ النبي ﷺ وأثنى عليه، ثم قال: ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي، حتى الجنة والنار، فأوحى إلي: أنكم تُفتنون في قبوركم مثل - أو قريب - من فتنة المسيح الدجال، يُقال ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات واهدى، فأجبنا واتبعنا، هو محمد ثلاثاً، فيقال: نَمَ صالحاً قد علمنا إن كنت لموقناً به. وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته.

«مثل - أو قريب - من فتنة المسيح الدجال» يعني: فتنة شديدة، اختبار شديد.

و«المرتاب» الشاك.

وفي قوله: «يُقَالُ مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟» إيهام، فلم يصرح ويقال: محمد، أو نبيك^(١).

وفي قوله: «نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنَّ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ» دليل أن الميت في حياته البرزخية يكون نائماً، ولكن المؤمن يكون بعافية وسلامة، ويفتح له باب إلى الجنة، ويفرش له من الجنة، وينعم في قبره حتى يبعث، بخلاف الكافر.

ولا يشعر الميت بطول المدة؛ لأنه نائم، وقد قال تعالى عن أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف]، وقال سبحانه وتعالى قبل ذلك: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

كما نستفيد من قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن المنافق: «لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ» التحذير من التقليد.

(١) قال ابن الملتن في «شرح صحيح البخاري» (٣/٣٢٥): إنما قال الملك ذلك ولم يقل: رسول الله؛ امتحاناً وإغراباً عليه؛ لئلا يتلقن منها إكرام النبي صلى الله عليه وسلم، ورفع مرتبته فيعظمه هو تقليداً لا اعتقاداً، ولهذا يقول المؤمن: هو رسول الله، والمنافق: لا أدري، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت.

وقال القاري في «مرقاة المفاتيح» (٣/١١٧٨): أي: أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، يَغْنُونُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي العبارة فِتْنَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَامْتِحَانٌ لِلْمُؤْمِنِ حَيْثُ أَتَى بِصِغَةِ الْجَهَالَةِ، وَلَمْ يُذَكَّرْهُ بِصِفَةِ النَّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ، وَلَعَلَّ هَذَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ النَّاسِ؛ إِذْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُمَا قَالَا لَهُ: وَمَنْ نَبِيِّكَ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، وَفِي رِوَايَةٍ: مُحَمَّدٌ نَبِيٌّ.

فلتحرص طالبة العلم، بل المرأة المسلمة على معرفة الأدلة، ما دليل هذه المسألة؟ ما دليل العالم الفلاني في هذه المسألة؟ حتى لا تكوني من المقلدين، والتقليد: قبول قول من ليس بحجة بدون حجة.

فالتقليد في دين الله **عَزَّوَجَلَّ** من أسباب عدم الثبات عند سؤال الملكين، ونحمد الله جل وعلا أن رزقنا بشيوخ وعلماء يدعوننا إلى كتاب الله وسنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فهم لا يدعوننا إلى أنفسهم، وهذا من أجل نعم الله **عَزَّوَجَلَّ**.

فتنة القبر جاء فيها الاستعاذة، عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَاهْرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغَنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلَجِ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا، كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» رواه البخاري (٦٣٦٨).

ويشملها أيضًا قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في حديث الاستعاذة من أربع قبل السلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمُخَيَا وَالْمُتَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨) واللفظ له.

هذه الأسئلة الثلاثة مَنْ عرفها وآمن بها فقد وجد حلاوة الإيمان، كما قال النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» رواه مسلم (٣٤) عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وقد ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الأصول الثلاثة أولاً على سبيل الإجمال، ثم شرع في ذكرها مفصلةً، وهذه الطريقة - ذكر الشيء على الإجمال ثم التفصيل - فيها تميم للفائدة، وتنشيط للقارئ في معرفة معناها؛ لأنه يكون متشوقاً للتفصيل، وهذا من محاسن التعليم. ومنه ذُكِرَ العدد مجملًا ثم مفصلاً، كحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْخِثَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ» رواه البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧).

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ) هذا الأصل الأول.

(وَدِينُهُ) هذا الأصل الثاني.

(وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدًا ﷺ). هذا الأصل الثالث.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟) من هنا يبدأ الشروع في التفصيل.

(فَقُلْ: رَبِّي اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ) هذا معنى الرب.

وقال السعدي في الملحق بـ«التفسير» (٩٤٥): الربُّ هو: المُرَبِّي جميع عبادَه بالتدبير

وأصنافِ النِّعم. اهـ.

والربوبية قسمان: عامة، وخاصة.

الربوبية العامة: ربوبية الخلق والملك والتدبير والإنعام، هذه عامة لجميع الخلق تشمل: البر، والفاجر، والحيوانات.

الربوبية الخاصة: ربوبية النُّصرة، والهداية، والحفظ، والرعاية، وهذه لأولياء الله عزَّ وجلَّ.

وهذا النوع أخص من الأول، وفَسَّره السعدي في الملحق بـ«التفسير» (٩٤٥)، وقال: تربيته لأصفياه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم؛ ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. اهـ.

ويشمل النوعين قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:

[٢].

ومن معاني الرب: المالك، والسيد، والمنعم، والمربي، والمصلح^(١).

والرب إذا كان محلي بـ«أل» فهو خاص بالله عزَّ وجلَّ لا يطلق على غيره، أما إذا أضيف

فيجوز أن يطلق على المخلوق، قال سُبْحَانَهُ عن نبيه يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿أَمَّا

أَحَدُكُمْ فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]. وفي الحديث عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

في أشرط الساعة: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا» رواه مسلم (٨) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقال: رب

الدار، أي: مالك الدار، وأما قوله: ﴿فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا﴾ فهنا بمعنى: السيد،

وكذلك الذي في الحديث.

(وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ) وهذا هو توحيد الألوهية.

(١) «بدائع الفوائد» (١٣٢/٤)، قال ابن القيم: والله تعالى هو الرَّبُّ بهذه الاعتبار كُلهَا.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢])

الإمام النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ في طريقته تربية للطالب على أن يأخذ المسألة بدليلها ف رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر هذا في الثناء على هذا الإمام، وأنه حريص على الاستدلال من كتاب الله وسنة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيذكر المسألة بدليلها.

(﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الحمد: الإخبار بمحاسن المحمود مع

المحبة والتعظيم.

وهذه الكلمة عظيمة في الثناء على الله، وهي أفضل الدعاء، كما قال النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» رواه ابن ماجه (٣٨٠٠) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمن حمد الله فقد دعاه، وبفضل الله عَزَّ وَجَلَّ هي ميسرة، ويستحب لنا أن نقولها ثلاثاً

وثلاثين.

سؤال عند إحدى البنات الصغيرات: متى يستحب لنا أن نقول: الحمد لله ثلاثين

وثلاثين؟

التلميذة الصغيرة تجيب: قبل النوم.

قبل النوم أحسنت، وماذا؟ أضيفي.

وبعد الصلاة.

صحيح، عند النوم وبعد الصلاة، وهذا خير كبير، وهي داخلة في الأذكار.

(وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ) هذا تعريف العالمين، العالمين: جمع عالم - بفتح اللام أما

عالم بكسر اللام فهو ضد الجاهل -: وهو كل ما سوى الله.

(وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ) أي: المجيب، يقول في جوابه: **(وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ**

الْعَالَمِ) فلا يخرج شيء من الكائنات عن العالم.

وهنا في شرح الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ «شرح ثلاثة الأصول» (٤٤) يقول: سُمُّوْ

عَالَمًا؛ لأنهم عَلِمُوا على خالقهم ومالكهم ومدبرهم.

ففي كل شيء آية لله ❀ **تدل على أنه واحد. اهـ.**

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟) سؤال: لماذا حُذِفَت الألف في «بم»؟

الطالبة تجيب: مثل: «عَمَّ»، حرف الجر إذا دخل على «ما» الاستفهامية تحذف

الألف.

أحسنَت، حذفت الألف؛ لأن «ما» الاستفهامية إذا سبقها حرف الجر فإن الألف

تحذف، هذه من القواعد الإملائية^(١)، بخلاف ما إذا كانت «ما» اسم موصول فإن

الألف لا تحذف، مثلاً: من امتثل أمر الله فقد قام بما أوجب الله عليه، نحذف الألف

من «ما» أم لا؟

الطالبة تجيب: لا.

(١) قال ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في «الألفية»:

و«ما» في الاستفهام إن جُرَتْ حُذِفَ ❀ ❀ ❀ أَلْفُهَا وَأَوَّلُهَا «الها» إِنْ تَقِفَ

لا تُحذف؛ لأن «ما» اسم موصول بمعنى: الذي، ويخطئ كثير في كتابة «ما» الاستفهامية والاسم الموصول، يجعلونها من باب واحد في كتابة الألف بعد الميم، والصواب التفرقة كما علمت، هذا ذكرناه للفائدة وإلا فهو خارج التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا) عطف المخلوقات على الآيات من عطف الخاص على العام، المخلوقات داخلية في الآيات.

وآيات الله عَزَّجَلَّ على قسمين:

كونية: وهي المخلوقات ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧]. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

وآيات شرعية: وهي الوحي المنزل من عند الله على أنبيائه ورسله.

وقد ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في أول عبارته: (وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) ثم قال ثانيًا: (وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا) الخ. والمخلوقات داخلية في الآيات كما سبق.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَا بَيْنَهُمَا) هذا في عدة آيات، كقوله تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الفرقان: ٥٩]. وهذا مثل: الهواء، والسحاب،

قال سبحانه: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. نحن قد يتبادر إلى أذهاننا أن السحاب ملتصق بالسماء، وليس كذلك كما في هذه الآية (١).

قال رحمه الله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ﴾) هذا الدليل على هذه المسائل المذكورة، فنحن نعرف ربنا سبحانه بآياته الكونية والشرعية، فالمخلوقات تدل على الخالق، والآيات الشرعية تدل أيضاً على الخالق، ومن ذلك القرآن الكريم وما فيه من المعجزات، وههنا ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «شرح ثلاثة الأصول» (٤٥)

(١) هل النجوم ملتصقة بالسماء؟

النجوم ليست لاصقة في السماء، وإنما هي مُدَلَّاة.

استفدته وقيدته من دروس والدي الشيخ مقبل رحمه الله

قلت: وقوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ لا يلزم أن تكون لاصقة بالسماء.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٢٥٩/١): يحتمل أن يكون معنى الآيات أن الله سبحانه جعل هذه الكواكب في مدار بين السماء والأرض، وسماه سماء؛ لعلوه، وليس فيما علمنا من الأدلة ما يمنع ذلك، وقد ذكر الله سبحانه أن الشمس والقمر يجريان في فلك في آيتين من كتابه الكريم، وهما قوله عز وجل في سورة الأنبياء: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وقوله سبحانه في سورة يس: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، ولو كانا ملتصقين بالسماء لم يوصفا بالسبح؛ لأن السبح هو الجري في الماء ونحوه.

وقال رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾، ولم يرد سبحانه أن البروج في داخلها، وإنما أراد سبحانه أنها بقرها وتنسب إليها كما يقال في لغة العرب: فلان مقيم في المدينة، أو في مكة وإنما هو في ضواحيها وما حولها، وأما وصفه سبحانه للكواكب بأنها زينة للسماء فلا يلزم منه أن تكون ملتصقة بها، ولا دليل على ذلك، بل يصح أن تسمى زينة لها، وإن كانت منفصلة عنها، وبينها وبينها فضاء، كما يزين الإنسان سقفه بالقماش والثريات الكهربائية ونحو ذلك، من غير ضرورة إلى إلصاق ذلك به، ومع هذا يقال في اللغة العربية: فلان زين سقف بيته، وإن كان بين الزينة والسقف فضاء. اهـ المراد.

ذكر أيضًا ما تشتمل عليه الآيات الشرعية من العدل والاشتغال على المصالح ودفع
المفاسد.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ﴾) هذه أربع آيات كونية: الليل والنهار من آيات الله عَزَّجَلَّ، يأتي الليل في زمانه
والنهار في زمانه ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ
أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]. يتعاقبان ولا يفتران، فالله عَزَّجَلَّ هو الذي يأتي
بالليل ويأتي بالنهار، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ
سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ [٧١]
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ
غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢-٧١]. لا يستطيع أحد أن يأتي بظلام الليل ولو اجتمعت الأمة على ذلك ما
استطاعوا، هذا دليل على وجود الله عَزَّجَلَّ، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له؛
ولهذا الله عَزَّجَلَّ يقسم بالليل ويقسم بالنهار ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى
۝﴾ [الليل: ١-٢]. أي: يغشى الناس بظلامه، الغشاء: الغطاء، فتبارك الله أحسن
الخالقين.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ الشمس: كوكب نهاري ينسخ ظهوره وجود الليل.

القمر: كوكب ليلي يُضعف وجوده ضوء غيره من النجوم^(١).

﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) فيه

النهي عن عبادة غير الله، ومنه السجود، السجود عبادة خاصة بالله، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لَوْ كُنْتُ أَمِيرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»^(٢).

وقد ثبت أن الشمس والقمر يكوّران يوم القيامة، والحديث في «الصحيح»^(٣)، أي: ويرمى بهما في النار، وهذا ليس من باب التعذيب للشمس والقمر، فهما مسخران لله سبحانه، ولكنه من باب التوبيخ لعابديهما، ونستفيد منه: سعة نار جهنم؛ فإذا كانت تسع الشمس والقمر، فكيف سعة جهنم نفسها؟! أعاذنا الله منها.

وقوله رحمه الله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]).

﴿وَالنُّجُومَ﴾ وفي آية أخرى ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ بالضم فعند من هذا

السؤال، في أي سورة ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ وهي بكماها: ﴿وَسَخَّرَ

(١) يراجع «حاشية الهري على شرح الفاكهي» (٢٠٣/١).

(٢) رواه الترمذي (١١٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ فِي «الصحيح المسند» (١٢٨٦) لوالدي رحمه الله.

(٣) رواه البخاري (٣٢٠٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾

الطالبة تحيب: النحل.

نعم.

الطالبة: وكذلك في الحج مضمومة، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
وَالشَّجَرُ﴾.

التي في سورة الحج مختلفة قليلاً ما فيه بعدها ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾.

قوله سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ خلق سبحانه
السموات في يومين، وخلق الأرض في أربعة أيام، كما في سورة فصلت: ﴿قُلْ أَيَّنَّكُمْ
لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ
﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَالْأَرْضِ أُنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾. ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ أي: خلقهن في يومين. فهذه مسألة حفظكن الله
من المسائل، والسموات سبع وكذلك الأرض سبع، ودليله في آية واحدة آخر آيات
سورة الطلاق من تأتي بها؟

الطالبة تحيب: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢: الطلاق].

وهذا حفظه سهل؛ لأنه في آية واحدة، دليل المسألتين في آية واحدة.

والسموات: سقف الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا

وَهُمْ عَنْ عَائِيَّتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [٣٢: الأنبياء]. كما أن العرش سقف الجنة، بل وسقف المخلوقات، النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» رواه البخاري (٧٤٢٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَى﴾ استوى لها أربعة معانٍ في اللغة العربية: علا، وارتفع، وصعد،

واستقر. هذه معاني استوى، والاستواء صفة فعلية من صفات الله عز وجل الفعلية، وأما

العلو فهو صفة ذات، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [٢٣: سبأ].

﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ العرش لغة: السرير.

وقد استنبط شيخ الإسلام من حديث: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا

نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ» - رواه مسلم (٢٧٢٦) عَنْ جُوَيْرِيَةَ - أن أعظم

المخلوقات عرش الرحمن (١).

(١) روى مسلم (٢٧٢٦) عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ

﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: يغطي الليل النهار بظلامه ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَى

﴿١﴾ [الليل: ١].

﴿يَطْلُبُهُ حَيْثًا﴾ أي: يبادر سريعاً في وقته.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ أمر الله عز وجل على

قسمين:

أمر كوني قدرتي: وهذا يتعلق بالمخلوقات، ومنه هذه الآية ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾، وقوله عز وجل: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾

[الأحقاف: ٢٥].

وأمر شرعي ديني: وهذا يتعلق بشرع الله عز وجل، وهي: أوامر ونواهي، كقوله

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

ومن الفروق بينهما:

الأمر كوني يتحقق ولا يمكن أن يتخلف.

أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وَزِنْتَ بِمَا قُلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ.

استنبط منه شيخ الإسلام أنَّ زينة العرش أثقل الأوزان. مجموع الفتاوى (٥٥٣/٦).

وقد سألت والدي الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن وجه استنباط شيخ الإسلام من هذا الحديث فقال: لأنه ذكر العرش دون غيره. والله أعلم.

الديني قد يقع وقد لا يقع، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ في هذه الآية دليل أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق؛ لأن القرآن داخل في الأمر، ففيه رد على المعتزلة القائلين بخلق القرآن.

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: تعظم الله رب العالمين سبحانه، وتبارك من خصائص الله عز وجل، فلا يقال للمخلوق: تبارك، وهذا من الأخطاء التي يقع فيها العوام، يقولون مثلاً: تبارك الزرع، تبارك الطعام.

وهذا من الأخطاء؛ لأن لفظة تبارك خاص بالله عز وجل، قال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]. وقد ذكر هذا ابن القيم رحمه الله أن هذا من خصائص رب العالمين، أما المخلوق، فيقال: مبارك.

الطالبة تسأل: يعني: عندما يقولون: ما شاء الله تبارك الله يصلح؟

ما شاء الله تبارك الله ما في هذا إشكال؛ لأنك نسبت البركة إلى الله عز وجل، ما قلت: تبارك فلان أو تبارك كذا.

فعلمنا أنه لا يقال للشيء المخلوق: تبارك. ولكن يقول: نجد فيه بركة مثلاً، إثبات البركة في المخلوق جائز، قال أسيد بن حضير رضي الله عنه: «مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ!»^(١). لكن الممنوع أن يقال للمخلوق: تبارك.

(١) البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧).

طيب، قلنا أيش: المخلوق حفظكن الله يقال له: مبارك، قال سُبْحَانَهُ على نبيه عيسى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]. وقال الله عَزَّجَلَّ في الكعبة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. أما قول: تبارك، للشيء المخلوق فهذا من أخطاء العوام، ومن أخطاء الألفاظ.

والبركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، نسأل الله البركة، نحن بحاجة إلى الدعاء والتضرع إلى الله سُبْحَانَهُ بنزول البركة. وإذا لم يكن هناك بركة لا توجد الفائدة والثمرة، وبركة الأرزاق، أحياناً تجددين بركة في مالك، بركة في الأولاد، بركة في الأوقات، بركة في العلم، «وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطِيتَ»^(١).
نسأل الله البركة، إلى هنا بارك الله فيكن.



(١) رواه أحمد (١٧٢٧) عن الحسن بن علي، وهو في «الصحيح المسند» (٣٠٨) لوالدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

أَسْئَلَةُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ:

١. ما هي الأصول الثلاثة التي أَلَفَ المصنف النجدي رَحِمَهُ اللهُ هذا الكتاب من أجلها؟
٢. الربوبية قسمان عامة وخاصة فما هما؟
٣. ذكر ابن القيم خمسة معاني للرب، فما هي؟
٤. ما تعريف الحمد؟
٥. من هو العالم، ولماذا سموا بذلك؟
٦. ما هي الآيات الكونية والآيات الشرعية؟
٧. الاستواء له أربعة معانٍ في اللغة العربية، فما هي؟
٨. ما هو العرش؟
٩. حديث: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» من صحابيه ومن أخرجه؟
١٠. أمر الله ينقسم إلى قسمين، وما الفرق بينهما؟
١١. ما هو الدليل على أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق؟



الدرس الخامس

الدرس (٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢)﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْخَالِقُ لَهُذِهِ الْأَشْيَاءُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ. ﴿﴾

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ) أي: المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وقد فسر رَحِمَهُ اللَّهُ الرب بأنه المعبود؛ لأن من أقر بتوحيد الربوبية يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية، وقد تقدم لنا هذا.

(وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢)﴾ [البقرة: ٢١-٢٢])

قوله سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ هذه الآية في سورة البقرة، وسورة البقرة مدنية، وقد نادى الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ﴾، والغالب في مناداة

الله لخلقه أن ما كان بلفظ ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ فهو مكّي، وما كان فيه ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو مدني.

﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: وحدوه وأطيعوه، وسبق لنا تعريف العبادة.

سؤال: فما هي العبادة؟ ماذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ؟

الطالبة تجيب: الْعِبَادَةُ هِيَ: اسم جامع لكل مَا يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاه من الأقوال والأعمال الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ (١).

سؤال: والعبادة لغة، عند من؟

الطالبة تجيب: التذل، ومنه طريق معبد أي: مذل.

﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الخلق: هو الإيجاد والتكوين، كما قال الشاعر:

عِلْمٌ كِتَابُهُ مَوْلَانَا مَشِيتُهُ ❀ وَخَلْقٌ وَهُوَ إِيجَادٌ وَتَكْوِينٌ

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: وخلق الذين من قبلكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ «لعل» في اللغة العربية في باب «إن» وأخواتها، تأتي للتعليل

بمعنى: «كي» التعليلية، كهذه الآية المذكورة، وكما قال سُبحَانَهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ

تَذْكُرُونَ ﴿١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥٢]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ [البقرة: ٥٢].

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ [البقرة: ٥٣]. وتأتي للترجي وهو طلب المحبوب، مثل:

«لعل الله يرحمني»، وتأتي لتوقع المكروه، نحو: «لعل زيذا هالك».

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ و«لعل» هنا كما تقدم تعليلية، أي: لتطيعوه وتتقوه.

التقوى لغة: اتخاذ حاجر بينك وبين ما تكره، ومنه قول الشاعر:

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْذِ إِسْقَاطُهُ ❀ فِتْنَاوَلْتُهُ وَانْتَقَتْنَا بِالْيَدِ (١)

«النصيف» ما هو النصيف؟ الخمار.

واصطلاحاً: عبارة عن امثال أوامر الله واجتناب نواهيه.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ معاني «جعل» في اللغة العربية:

❀ تأتي بمعنى: خلق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾

[الأنعام: ١]. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾

[النحل: ٧٨].

❀ وتأتي بمعنى: صير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: ٣].

❀ وتأتي بمعنى: سمى واعتقد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ

الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

❀ وتأتي بمعنى: شرع، نحو: «جعل زيد يتكلم» يعني: شرع. ف«جعل» تأتي

للشروع، هناك أفعال الشروع، ومنها: جعل (٢).

(١) مرجع البيت «تفسير ابن كثير» (١/١٦٤).

(٢) قال ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في «الألفية»:

والفرق بين «جعل» بمعنى: خلق، و«جعل» بمعنى: صير، أن التي بمعنى: خلق تتعدى إلى مفعول واحد، والتي بمعنى: صير تتعدى إلى مفعولين.

فعلى هذا لا شبهة للمعتزلة في هذا الدليل، فإنهم يقولون: القرآن مخلوق، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ قالوا: جعل بمعنى: خلق، والرد عليهم: أنها تعدت إلى مفعولين، فهي بمعنى: صير.

و«جعل» في هذه الآية ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ محتمل أن تكون بمعنى: خلق، ويكون ﴿فِرَاشًا﴾ حال، ومحتمل أنها بمعنى: صير، ويكون ﴿فِرَاشًا﴾ المفعول الثاني.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ هذا فيه أن الله جعل الأرض للخلق فراشا، يسكنون فيها، ويرتاحون، وينامون، ويمشون، ويعملون، فراش وذلول ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ [الملك: ١٥]. أي: مذلة ومسخرة، وقرار ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١]. أي: مستقرة، ومهادا ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ [النبا: ٦]، وبساطا، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: ١٩].
وللفائدة: من حلف ألا ينام على فراش فنام على الأرض، الله عز وجل سمي الأرض فراشا، هذا لا يحنث في يمينه؛ لأن المراد الفراش المعروف^(١).

كأنشأ السائق يحدو وطفق ❖ كذا جعلت وأخذت وعلق

(١) قال القرطبي في «تفسيره» (٢٢٨/١): قَالَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ: لَوْ حَلَفَ رَجُلٌ أَلَّا يَبِيتَ عَلَى فِرَاشٍ أَوْ لَا يَسْتَسْرِجَ بِسِرَاجٍ، فَبَاتَ عَلَى الْأَرْضِ، وَجَلَسَ فِي الشَّمْسِ لَمْ يَحْنُثْ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمَا عَرَفَا.

الطالبة تسأل: ما معنى لا يحنث؟

أي: لم يفعل خلاف يمينه.

الطالبة تسأل: يعني: ما عليه كفارة؟

ليس عليه كفارة؛ لأنه برّ بيمينه، ولم يخالف ما حلف عليه.

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ بناء أي: سقفاً لمساكنكم، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا

السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ السماء المراد بها ههنا: السحاب، قاله المفسرون. كما

في «تفسير السعدي» (٤٤).

﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أي: رزقاً لكم ولمواشيكم، كما قال

تعالى: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعِمَ﴾ [النازعات: ٣٣].

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ الند: الشبيه والنظير.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أن الله خالقكم ورازقكم ومدبركم، فلماذا

تشركون به وتعبدون غيره من الأصنام والأحجار والأشجار والملائكة وغيرها؟!!

ونستفيد:

❖ الأمر بعبادة الله عزَّ وجلَّ وحده، واجتناب الشرك.

❖ محاجة من يشرك بالله، كيف يشرك بالله **عَزَّجَلَّ** وهو الذي خلقه وخلق الأولين والآخرين؟! فالله **عَزَّجَلَّ** يحاج المشرِك، كيف يشرك بالله وهو الذي خلقه وأعده وأمده؟! وكما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في بيان أعظم الذنوب: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»^(١).

❖ أن من عبد الله سبحانه فقد اتقاه، والوصف بالمتقين غاية الفوز ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾^(٥٤) [القمر: ٥٤].

❖ هذه الآية ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ استدل بها بعض من قال: إن الأرض مبسوطة، أي: مسطحة وليست كروية؛ لقوله سبحانه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾، والآية كما ذكر أبو حيان الأندلسي، لا تدل على ذلك، وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، والذي رجحه شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ** وهو الذي عليه جمهور أهل العلم^(٢) أن الأرض كروية الشكل وليست مسطحة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾^(٣) [الانشقاق: ٣]. يعني: يوم القيامة. وأما من قال: الأرض مسطحة فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَالِإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(٤) [الغاشية: ٢٠]. والجواب عن هذه الآية: أنها لا تنافي أن تكون الأرض كروية.

(١) البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَكَدَّ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ».

(٢) وقد نقل أبو محمد ابن حزم في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٧٨/٢)، وشيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٥٠/٥) الإجماع على أن الأرض كروية.

كما نستفيد من هاتين الآيتين: الإيمان بالبعث والنشور من ثلاثة أوجه:

✎ الأول: خلُق الخلق، فإن خلق الخلق دليل على البعث، وكما قال سبحانه:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. وقال

سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [١٥] ﴿ق:

[١٥]. وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

[الإسراء: ١٥]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي

الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [٧٨] قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ

عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

✎ الثاني: خلق الأرض والسماء، قال سُبْحَانَهُ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِمَّنْ خَلَقَ النَّاسَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴾ [غافر: ٥٧]. وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [٢٧] ﴿

[النازعات: ٢٧]. هذا برهان آخر على الإيمان بالبعث، وأن الله قادر على ذلك.

✎ الثالث: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ إخراج النباتات

ومن أرض قد تكون يابسة، وتنبت بالزروع والنباتات، هذا دليل على إحياء الله عَزَّوَجَلَّ

الخلق بعد مماتهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنَّا تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا

عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿٣٩﴾ [فصلت: ٣٩] (١).

واشتملت على رُكني لا إله إلا الله، وهما: النفي والإثبات، يعني: إثبات توحيد

الله عَزَّجَلَّ واجتناب الشريكيات، وهذا من أي وجه؟

الطالبة تجيب: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾.

﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ هذا فيه أي شيء؟

الطالبة تجيب: إثبات.

صحيح، إثبات ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾.

الطالبة تجيب: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ نفي.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ نفي، فاشتملت الآية على ركني لا إله إلا الله: النفي

والإثبات.

(قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْخَالِقُ لَهُذِهِ الْأَشْيَاءُ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ)

(ابْنُ كَثِيرٍ) وهو: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.

(الْخَالِقُ لَهُذِهِ الْأَشْيَاءُ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ) وتقدم هذا، الخالق لهذه الأشياء خلق

الأولين والآخرين، خلق الأرض والسماء، إخراج النباتات من الأرض الميتة دليل على

أن الله عَزَّجَلَّ مستحق للعبادة وحده لا شريك له، ودليل كما تقدم على البعث والنشور.

(١) يراجع «أضواء البيان» تفسير سورة البقرة [آية: ٢١-٢٢].

﴿قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْحَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالْاسْتِعَانَةُ، وَالْاسْتِعَاذَةُ، وَالْإِسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [١٨: الجن]، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [١١٧: الكهف] ﴿

طيب، حفظكن الله هذه المسائل ستأتي إن شاء الله فقرة فقرة عند المؤلف نفسه في هذا الكتاب بأدلتها، فقد ذكرها هنا سرداً، ثم ذكرها فقرة فقرة بأدلتها، فنؤجل الكلام عليها إن شاء الله عند فقراتها، وبارك الله فيكن.



أسئلة الدرس الخامس:

١. من هو الرب، وما هو الدليل عليه؟
٢. تعريف التقوى لغة واصطلاحاً؟
٣. اذكرني أشهر معاني «جعل» في اللغة العربية؟
٤. قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ما هو المراد بالسما هنا؟
٥. من هو الند؟
٦. «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» من صحابي الحديث ومن أخرجه؟
٧. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ اشتملت على ركني لا إله إلا الله، وهما: النفي والإثبات، من أي وجه؟
٨. من هو الحافظ ابن كثير؟



الدرس السادس

الدرس (٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

نحن في سياق تعداد أنواع من العبادات، فمن أنواع العبادات وأجلّها: الدعاء.
وهذا الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ» بهذا اللفظ ضعيف؛ فيه عبد الله بن لهيعة.
«مُخُّ الْعِبَادَةِ» أي: خالصها.

ومعناه صحيح^(١)، ثابت من حديث عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ^(٢).

(١) قال الشيخ الألباني في «الجنائز» (١٩٥): لكن معناه صحيح بدليل حديث النعمان.

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩)، وهو في «الصحيح المسند» (١١٥٩) لوالدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

ومعناه: أي: معظم العبادة، كما قال النبي ﷺ: «الحج، الحج، يوم عرفة»^(١) أي: معظم أركان الحج الوقوف بعرفة.

وقال الطيبي في «شرح المشكاة» (٥/١٧٠٨): أتى بضمير الفصل، والخبر المعرف باللام، ليدل علي الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء. أي: أن العبادة هي الدعاء نفسه.

والدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة. دعاء مسألة: وهو: طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضرر.

دعاء عبادة: ما لم يكن فيه سؤال ولا طلب^(٢).

والدعاء ان متلازمان^(٣).

دعاء مسألة: مثل أن يقول: اللهم ارزقني، اللهم اهديني، اللهم اشفني.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «جامع العلوم والحكم»: ومعلوم أن السؤال هو حقيقة العبادة؛ لأن فيه إظهار الذل والمسكنة والحاجة والافتقار، والاعتراف بقدرة المسئول على دفع هذا الضرر ونيل المطلوب، وجلب المنافع ودفع المضار، وكل هذا لا يصلح إلا لله وحده. اهـ.

فهذه ثلاثة أمور يتضمنها دعاء المسألة.

(١) رواه أبو داود (١٩٤٩) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ الدَّيْلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» (٩٠٠) لوالدي رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) «حاشية ثلاثة الأصول» لابن القاسم.

(٣) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «بدائع الفوائد» (٣/٥١٤): فهو يدعى للنفع والضرر دعاء المسألة، ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.

أما دعاء العبادة فينطبق على ما ليس طلباً ولا سؤالاً، الذي يصلي، يدعو ربه، يصوم، يزكي، يحج، ينطق الكلمة الطيبة، إلى غير ذلك من أنواع العبادة، هذا دعاء عبادة؛ لأنه يفعلها رجاء ثواب الله، وخوف عقابه.

❖ كما نستفيد من ذلك: أن الذي لا يملك ضرراً ولا نفعاً لا يستحق أن يُدعى، قال ربنا عز وجل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]. وقال نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام منكرًا على قومه: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧].

سؤال: ما إعراب «أف»، وما معناها، عند من؟ من عندها شيء، وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣]، الباحثات عن برِّ الوالدين ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾، يجب أن تنظر كيف تكون بارّةً بأبويها، وما هو الذي ينافي بر الوالدين؟

الجواب: اسم فعل مضارع، بمعنى: أتضجر. يظن كثير من الأولاد أنها كلمة صغيرة، إذا تأفف وتضجر من أمر والديه، ولكنها من العقوق.

نحن في سياق أن الذي لا يملك ضرًا ولا نفعًا لا يستحق أن يُدعى، وقال
سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا
يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا
﴿٣﴾ [الفرقان: ٣]. فالخلق ضعيف يحتاج أن يُدعى له، لا أن يُدعى من دون الله،
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

سؤال: السؤال عند من، ما هو الكبر؟

الطالبة الصغيرة تحيب: غمط الناس ورد الحق.

طيب، أحسنت، نأتي بلفظ الحديث كما هو إن شاء الله: «الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ
النَّاسِ».

سؤال: من صحابه ومن أخرجه؛ لأنه قطعة من حديث؟

الجواب: كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم (٩١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ،
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ
رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ
الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ».

إذا هذا تعريف الكبر، فسره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ
النَّاسِ»، «بَطَرُ الْحَقِّ» أي: رد الحق، فمن رد الحق لم يتواضع، ومن قبل الحق فهو

متواضع، ومن يُنّ له خطؤه فتمادى في الإصرار على الخطأ وهو يعلم أنه أخطأ- بهذا القيد: وهو يعلم أنه أخطأ- لم يتواضع.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠) أي: أذلاء.

❖ ونستفيد: فضل الدعاء، وأنه من أجل العبادات.

❖ وفيه وعد الله عزّ وجلّ باستجابة (١) دعاء من دعاه.

ولا يُشكل هذا أن الداعي قد يدعو فلا يُستجاب له؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعْجَلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا» قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ» (٢).

تسأل الطالبة: ما معنى «اللَّهُ أَكْثَرُ»؟

أي: يعطي أكثر مما سأل السائل؛ لأن فضل الله واسع، ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ

فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

فدل الحديث أن الدعاء على ثلاث حالات، والله عزّ وجلّ يعطي فضلاً ويمنع عدلاً، فمن يسأل الله عزّ وجلّ الولد الصالح، أو المال، أو العافية، ولم يُستجب له الشيء الذي أَرَادَهُ فهذا لحكمة يعلمها الله، فقد يُمنع العبد العطاء؛ لأن الخير في منعه، ﴿وَعَسَى أَنْ

(١) سؤال: كيف كتابة «باستجابة»؟

الطالبة تحيب: همزة وصل. الهمزة هذه ساقطة.

ساقطة نطقاً لا كتابة، وبعد الألف سين، أفيه واحدة كتبت لام بعد الألف؟ هذا خطأ.

(٢) الحديث عن أبي سعيد الخدري رواه الإمام أحمد (٢١٤/١٧)، وهو في «الصحيح المسند» (٤١٢) لوالدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦]، فينبغي أن يُسَلَّمَ الأمر لله؛ لأن
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَمْنَعُ لِحِكْمَةٍ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾.

وروى البخاري (٧٥٣٥) عن عمرو بن تغلب، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لُ
فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنْعَ آخَرِينَ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَتَبُوا، فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ،
وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ،
وَأَكِلَ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ»، فَقَالَ
عَمْرُو: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمْرَ النَّعَمِ.

قال الحافظ ابن حجر في فوائد هذا الحديث: فِيهِ أَنَّ الْبَشَرَ جُبِلُوا عَلَى حُبِّ الْعَطَاءِ،
وَبُغْضِ الْمُنْعِ، وَالْإِسْرَاعِ إِلَى إِنْكَارِ ذَلِكَ قَبْلَ الْفِكْرَةِ فِي عَاقِبَتِهِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ.
وَفِيهِ أَنَّ الْمُنْعَ قَدْ يَكُونُ خَيْرًا لِلْمَمْنُوعِ. اهـ.

وقد يكون هناك بعض الموانع من استجابة الدعاء، منها:

❖ عدم الضراعة واللجوء الصادق إلى الله سُبْحَانَهُ؛ ولهذا فإن الإنسان قد
يدعو ويدعو ولا يستجاب له حتى تشتد به المصيبة، فيستجاب له؛ لأنه إذا اشتدت
حصلت عنده الضراعة فيفرج الله سُبْحَانَهُ، وكما قيل في المثل: اشتدي أزمة تنفرجي.

الطالبة: يعني: إذا اشتد الكرب قرب الفرج؟

إن شاء الله، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ [الشرح: ٥-٦].

فهذا من الأسباب في تأخير الاستجابة، أن الإنسان يدعو ويدعو، ولكن ليس هناك

ضراعة ولجوء إلى الله بصدق، فتأخر الإجابة، فإذا اشتدت الحالة وازدادت سوءاً لجأ المصاب إلى الله بقلبه، فيستجيب الله وينزل الفرج من عنده.

❖ ومن الأسباب أن يدعو الإنسان وهو غير موقن بالإجابة، يقول: الله أعلم يستجاب لي أو لا، أو يقول: دعائي لا يقبل لكنني أدعو. وهذا من أسباب عدم استجابة الدعاء، ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» الحديث رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

الطالبة: والدعاء قالوا: أول ما تدعو تحمد الله وتثني عليه ثم تصلي على الرسول. وهذا أيضاً صحيح من أسباب استجابة الدعاء، الثناء على الله، ثم الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الدعاء. روى أبو داود (١٤٨١) عن فضالة بن عبيد، صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَلْ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ -أَوْ لغيره-: «إِذَا صَلَّي أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ».

❖ عدم الاستعجال في الاستجابة، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:

١١]. يدعو بعض الشهور أو بعض الأسابيع فلا يرى إجابة، فيمل ويفتر، هذا من أسباب عدم استجابة الدعاء، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» رواه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

❖ المال الحرام من أسباب عدم استجابة الدعاء، دليل ذلك عند من؟ من

تُشارك؟

الطالبة تحيب: حديث روى الإمام مسلم (١٠١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

صحيح أحسنت، بارك الله فيك.

نرجع إلى الكلام على الآية بعون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

في الآية: دليل على أن الدعاء عبادة، فالآية نص في هذا فتُحفظ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠)، ففي أولها: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وفي آخرها قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠).

وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۖ﴾ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴿مريم: ٤٨﴾.

وكذلك حديث النعمان بن بشير، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، فهذه ثلاثة أدلة نص على أن الدعاء عبادة، فلا يجوز صرفه لغير الله. كما نستفيد من الآية: أن دعاء غير الله شرك أكبر، فلو دعا الولي الفلاني أن يشفيه، أو ينزل المطر، أو يعطيه الولد، أو المال، هذا شرك أكبر ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧]. وسواء كان حياً أو ميتاً.

أما دعاء المخلوق الحي فيما يقدر عليه فهذا جائز «وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ»^(١) على أحد الاحتمالين.

وكان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ يسأل: ما حكم دعاء غير الله؟ ومن أجاب من الطلاب بأنه شرك أكبر ولم يُفصّل، كان لا يرتضي جوابه، ويقول: دعاء غير الله على قسمين: شرك أكبر، وجائز. يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: وإلّا وقعنا في التناقض.

(١) رواه مسلم (٢١٦٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وهل هنا كلام للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح ثلاثة الأصول» (٥٦) ما يفيد هذا، أن دعاء غير الله على قسمين، قال: ومن دعا حياً بما يقدر عليه، مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، يا فلان اسقني فلا شيء فيه. اهـ.

وعلى كل حال من أطلق أن دعاء غير الله شرك أكبر، فالمراد فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥])

تعريف الخوف: قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح ثلاثة الأصول» (٥٣): الخوف: هو الذعر، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥) وأول الآية ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ الشيطان من يخوف؟ يخوف المؤمنين من أوليائه، أو يخوف أتباعه ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، من تحيب، وتحيب إجابة يحسن السكوت عليها من السامع والمتكلم؟

الجواب: الآية فيها حذف: يخوفكم. كما استفدته من والذي رَحِمَهُ اللهُ.

فنستفيد من الآية: أن الشيطان يخوف المؤمنين من أتباعه، فهو الذي يبعث الخوف والرعب في قلوب المؤمنين من أتباعه، وقد ثبت الله المؤمنين ونهاهم عن الخوف منهم،

فقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥).

العلم يترابط فهذا من علوم التفسير، ومن علوم العقيدة.

والخوف على أقسام:

خوف من الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه عبادة جليلة، وهي من أعظم أسباب دخول الجنة

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [٤٦] ﴿الرَّحْمَنُ: ٤٦﴾. وقال سبحانه في أهل الجنة

وهم يتحدثون عن حياتهم الأولى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [٤٥] ﴿قَالُوا

إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [٤٦] ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّعِيرِ

﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [٢٨] ﴿الطور: ٢٥-٢٨﴾. وقال

سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [٢٧] ﴿المعارج: ٢٧﴾.

والمراد بالخوف من الله المحمود الذي يبعث على فعل الطاعة، ويردع عن

المعصية، أما إذا تجاوز ذلك إلى اليأس والقنوط فهذا مذموم، ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ

رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [٥٦] ﴿الحجر: ٥٦﴾، ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٨٧] ﴿يوسف: ٨٧﴾.

[٨٧]

أو أورث الخوف ضعفا نفسيا، أو مرضا، أو موتا، أو غشيا-يعني: يصل إلى حد

الإغماء من شدة الخوف- فهذا خوف ليس بمحمود؛ لأنه كما قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في

رسالته «التخويف من النار»، كما في «مجموع رسائله» (١١٢/٤): القدر الواجب من

الخوف ما حمل على أداء الفرائض، واجتناب المحارم. فإن زاد على ذلك بحيث صار

باعثًا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان فضلًا محمودًا، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضًا أو موتًا أو هُمًّا لازمًا، بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله **عَزَّوَجَلَّ**، لم يكن ذلك محمودًا؛ ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي من شدة خوفه الذي أنساه القرآن وصيَّره صاحب فراش. وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته؛ إنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه؛ ولهذا المعنى عدَّها الله سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن.

والمقصود الأصلي هو طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ**، وفعل مرضيه ومحباته، وترك مناهيه ومكروهاته.

ولا ننكر أن خشية الله وهيئته وعظمته في الصدر وإجلاله مقصودٌ أيضًا، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عونًا على التقرب إلى الله، بفعل ما يحبه، وترك ما يكرهه، ومتى صار الخوف مانعًا من ذلك وقاطعًا عنه، فقد انعكس المقصود منه، ولكن إذا حصل ذلك عن غلبة كان صاحبه معذورًا. اهـ.

فإذا وصل الخوف من الله إلى هذه الحالة المذكورة صار ليس بنافع^(١)، وقد وُجد عن بعضهم أنه يشهق ويصيح عند سماع القرآن من شدة الخوف، وعند التذكير، وهذا ليس من هدي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وما كان الصحابة يفعلونه.

(١) ومن هنا نستفيد: أن الخوف من الله على قسمين: محمود وغير محمود.

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥٢٢/٢٢): وَمَا يَحْصُلُ عِنْدَ السَّمْعِ وَالذِّكْرِ الْمَشْرُوعِ مِنْ وَجَلِ الْقَلْبِ وَدَمَعِ الْعَيْنِ وَاقْشَعَرَارِ الْجُسُومِ، فَهَذَا أَفْضَلُ الْأَحْوَالِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ. وَأَمَّا الْاضْطِرَابُ الشَّدِيدُ وَالْغَشْيُ وَالْمَوْتُ وَالصَّيْحَاتُ، فَهَذَا إِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مَغْلُوبًا عَلَيْهِ لَمْ يُلَمَّ عَلَيْهِ، -كَمَا قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ-؛ لِأَنَّهُ مَغْلُوبٌ لَيْسَ بِاخْتِيَارِهِ، فَإِنَّ مَنَشَأَهُ قُوَّةُ الْوَارِدِ عَلَى الْقَلْبِ مَعَ ضَعْفِ الْقَلْبِ. وَالْقُوَّةُ وَالتَّمَكُّنُ أَفْضَلُ، كَمَا هُوَ حَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ، وَأَمَّا السُّكُونُ قَسْوَةً وَجَفَاءً فَهَذَا مَذْمُومٌ لَا خَيْرَ فِيهِ. اهـ.

إذا قلنا: الخوف على أقسام:

❖ خوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❖ خوف طبيعي، وهو الخوف الجبليّ هذا جائز، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]. يخاف مثلاً: من السَّبُعِ، يخاف على بيته من اللصوص أو ماله، يخاف من النار، من الثعبان، يخاف من بيت فيه ميت^(١)، هذا خوف طبيعي.

❖ خوف العبادة، وهو كما قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح ثلاثة الأصول» (٥٧): أَنْ يَخَافَ أَحَدًا يَتَعَبَّدُ بِالْخَوْفِ لَهُ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى، وَصَرَفَهُ لغير الله تعالى شرك أكبر. اهـ.

(١) قال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٤٧/٢) في سياق خطر الأوهام: وَكَذَلِكَ يَنْفَرُ طَبْعُ الْإِنْسَانِ عَنِ الْمَيِّتِ فِي بَيْتٍ فِيهِ مَيِّتٌ، مَعَ قَطْعِهِ بِأَنَّهُ لَا يَتَحَرَّكُ، وَلَكِنَّهُ يَتَوَهَّمُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ حَرَكَتَهُ وَنَطْقَهُ.

❖ خوف السر، وهو كما في «تيسير العزيز الحميد» (٤١٧): أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً؛ لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله ندّاً يخافه هذا الخوف فهو مشرك^(١).

هذا خوف السر، يخاف من غير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله، هذا شرك أكبر. ❖ وهناك من يخاف من الجن، مثلاً: إذا دخل الحمام كشأن بعض الصبيان، أو يخاف إذا وجد مصروعاً؛ بسبب صرع الجنى له. هذا ملحق بالخوف الطبيعي. وسمعتُ والدي رَحِمَهُ اللهُ يقول: لا يجوز أن ترميَ الذي يخاف من صرع الجنى للإنسي بأنه جبان.

وهناك خوف أوهام، ومثل الشيخ ابن عثيمين في «القول المفيد» (٦٨/٢) لهذا، بمثل: أن يرى ظل شجرة تهتز، فيظن أن هذا عدو يتهدهده. قال: فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، بل يطارد هذه الأوهام؛ لأنه لا حقيقة لها، وإذا لم تطاردها؛ فإنها تهلكك. اهـ.

(١) وفسره الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في «شرح ثلاثة الأصول» (٥٧) بقوله: كأن يخاف صاحب القبر، أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه، لكنه يخافه مخافة سرّ.

ومن إساءة الأم في تربية ولدها: أن تملأ قلبه بالرعب والأوهام، فيصير رعيدياً جبّاناً، وقد يؤثّر في نفسيته إذا كبر، فلا يكون عنده الشجاعة؛ فلهذا يقول والدي **رَحِمَهُ اللَّهُ: الأم الجاهلة تملأ قلب ولدها أوهاماً، حتى إنه ربما يخاف من ظله. اهـ.**

هذا التخويف ليس هو الدواء الذي تسلكه الأم مع ولدها، وتملأ قلبه بالأوهام، فيجب على الأم أن تغرس في قلب ولدها العقيدة الطيبة، وأن النفع والضرر بيد الله، والجن نواصينا ونواصيهم بيد الله **عَزَّجَلَّ ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦]**، والله المستعان.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠])**

سؤال: تقدم تعريف الشرك بالله **عَزَّجَلَّ**، فعند من؟ هو ينقسم إلى قسمين هكذا؟
الطالبة تجيب: شرك أكبر: هو مساواة غير الله بالله فيما هو خاص بالله.
وشرك أصغر: ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر.

الرجاء بمعنى: التوقع والأمل، محدود. كما في «حاشية ثلاثة الأصول» (٥٩) لابن القاسم.

ورجاء الله **عَزَّجَلَّ** على أقسام:

❖ أن يفعل الطاعة؛ رجاء ثواب الله **عَزَّجَلَّ**.

❖ أن يتوب إلى الله إذا أذنب فيرجو مغفرة الله سبحانه، الأول في الطاعة والثاني في الذنب، يتوب منه يرجو مغفرة الله سبحانه.

❖ أن يرجو ثواب الله من غير عمل، وهذا مذموم^(١).

فلا بد من رجاء مع العمل وإلا لم ينفع، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]. وكما في هذه الآية ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فلو قال من يسمع الأغاني مثلاً: الله غفور رحيم، أو يكذب، أو يقع في الغيبة والنميمة، ويقول: الله غفور رحيم، هذا استدراج من الشيطان، فرب معصية واحدة تسبب نكبة وشقاوة لا يفيق بعدها أبداً، فالذنوب لا يستحق منها شيء، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]. فالمعصية من أسباب الزيغ.

(١) وقد ذكر هذه الثلاثة الأقسام ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٣٧/٢)، وقال: وَالرَّجَاءُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ: نَوْعَانِ مَحْمُودَانِ، وَنَوْعٌ غَرُورٌ مَذْمُومٌ.

فَالْأَوَّلَانِ رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، فَهُوَ رَاجٍ لِثَوَابِهِ.

وَرَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا ثُمَّ تَابَ مِنْهَا، فَهُوَ رَاجٍ لِمَغْفِرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَفْوِهِ وَإِحْسَانِهِ وَجُودِهِ وَحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ.

وَالثَّالِثُ: رَجُلٌ مُتَمَادٍ فِي التَّفْرِيطِ وَالْحُطْأَيَا، يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ بِلاَ عَمَلٍ. فَهَذَا هُوَ الْغُرُورُ وَالتَّمَنِّي وَالرَّجَاءُ الْكَاذِبُ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَبَيْنَ التَّمَنِّيِّ كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»:

أَنَّ التَّمَنِّيَّ يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ.

وَالرَّجَاءُ يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهِدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

والرجاء والخوف متلازمان، فكل خائف راجٍ، وكل راجٍ خائف. كما ذكر ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «مدارج السالكين» (٢/ ٥١) (١).

فالمؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقد ذهب أهل العلم إلى أنه ينبغي تغليب جانب الخوف في حال الصحة؛ ليكون هذا حاجزاً له عن المعاصي، ومحفزاً له على الخير، وفي حال المرض يُغلب جانب الرجاء؛ لما روى الإمام مسلم (٢٨٧٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ».

ومن هنا ينبغي أن يكون عند المحتضر بعض أهل الفضل؛ لأنه يتنفع بمجالسته، فيذكره برحمة الله ومغفرته، وأنه قادم على رحيم؛ حتى لا يقنط المحتضر من رحمة الله. وعبدالله بن عمرو بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** دخل إلى أبيه وهو في الاحتضار، وقد وجه نفسه إلى الجدار يبكي، فجعل ولده عبدالله يذكره، الولد البار عبدالله بن عمرو بن

(١) قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وَمِنْهَا: أَنَّ الْخَوْفَ مُسْتَلَزِمٌ لِلرَّجَاءِ، وَالرَّجَاءُ مُسْتَلَزِمٌ لِلْخَوْفِ، فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ، وَكُلُّ خَائِفٍ رَاجٍ؛ وَلِأَجْلِ هَذَا حَسُنَ وَقُوعُ الرَّجَاءِ فِي مَوْضِعٍ يَحْسُنُ فِيهِ وَقُوعُ الْخَوْفِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: الْمَعْنَى مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً؟ قَالُوا: وَالرَّجَاءُ بِمَعْنَى الْخَوْفِ.

والتَّحْقِيقُ أَنَّهُ مُلَازِمٌ لَهُ؛ فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ مِنْ فَوَاتِ مَرْجُوِّهِ، وَالْخَوْفُ بِلا رَجَاءٍ يَأْسُ وَقُتُوْطٌ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الباقية: ١٤]، قَالُوا فِي تَفْسِيرِهَا: لَا يَخَافُونَ وَقَاتِعَ اللَّهِ بِهِمْ، كَوَقَاتِعِهِ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ.

العاص جعل يذكره: يا أبت، أما بشرك رسول الله بكذا؟ فحوّل وجهه إليهم، يعني: رفع معنويته، وعمرو بن العاص ممن بشره النبي ﷺ هو وأخوه هشام بقوله: «ابننا العاص مؤمنان: عمرو وهشام»^(١)، ثم اتجه إليهم وذكر لهم حديثاً وقصة حالته قبل الإسلام، وكيف لو لقي الله عزّ وجلّ وهو على ذلك الحال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه^(٢).

وهذا من نعمة المجلس الصالح، لا يعدم المحتضر خيراً من مجالسته، والناس في تلك الحالة في حالة دهشة واضطراب، الأقرباء والأولاد والأحباب في حالة ضعف، لا يثبت إلا من ثبته الله سبحانه وتعالى، فإذا وُجد المجلس الصالح عند المحتضر هذا من المرغّب فيه، فيلقنه الشهادة، المحتضر نفسه قد ينسى من العناء والتعب، فيلقنه جليسه كلمة التوحيد، كما قال النبي ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» رواه مسلم (٩١٦) عن أبي سعيد الخدري.

(١) رواه الإمام أحمد (٨٠٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وهو في «الصحيح المسند» (١٣٤٤) لوالدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

(٢) رواه مسلم (١٢١) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمُهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نَعِدُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفِرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَنْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْمِجْرَةَ يَنْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَنْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِلَّا لَلَا لَهُ، وَلَوْ سِئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ، وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَذْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَصْحَبُنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشْنُوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَفِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحَرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرُ مَاذَا أَرَا جُعِ بِهِ رَسُولُ رَبِّي.

كان السلف يا أخوات يكون عند تذكُّر الموت لا على مفارقة الدنيا، ولكن
لأنقطاع عملهم بعد وفاتهم، ولخوفهم من التقصير. والحمد لله.



أسئلة الدرس السادس:

١. ما حال حديث «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»؟
٢. اذكر ثلاثة أدلة على أن الدعاء عبادة؟
٣. هل دعاء غير الله شرك مطلقاً أو فيه تفصيل؟
٤. ما الدليل على أن الذي لا يملك ضرراً ولا نفعاً لا يستحق أن يُعبد؟
٥. ما هو الكِبَرُ؟
٦. اذكر أربعة أسباب في تأخير استجابة الله لدعاء العبد؟
٧. ما هو تعريف الخوف؟
٨. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ ما معنى قوله: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾؟
٩. ما هي أقسام الخوف؟
١٠. حديث «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» من صحابيه ومن أخرجه؟



الدرس السابع

الدرس (٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]. وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ

﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقر: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]



قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]. وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

[الطلاق: ٣]) نحن في سياق ذكر بعض أنواع العبادات، فمن العبادات القلبية التوكل

على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

التوكل لغة: إظهارُ العجزِ والاعتمادِ عَلَى غَيْرِكَ. «لسان العرب» (١١/٧٣٦).

والتوكل شرعاً: صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع وترك المضار.

والتوكل على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** واجب، فيتوكل الإنسان على الله وحده لا شريك

له **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣)**.

وتقديم المعمول في قوله تعالى: **﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾** يفيد الحصر؛ لأن تقديم ما حقه

التأخير يفيد الحصر، أي: **لا تتوكلوا إلا على الله وحده.**

وأما التوكل على المخلوق فعلى قسمين:

❖ شرك أكبر، وهو: أن يعتمد على مخلوق ميت في جلب منفعة أو دفع ضرر.

❖ شرك أصغر، وهو: أن يعتمد على مخلوق حيّ فيما أقدره الله **عَزَّجَلَّ** عليه من

المال والمعونة، هذا شرك أصغر؛ لأنه اعتمد بقلبه على غير الله **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾**

إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣) (١).

❖ وهناك قسم آخر وهو التوكيل، وهي التي تسمى الوكالة، يوكل إنساناً في

شراء أو بيع أو إقامة حدّ، أو أي عمل من الأعمال، فهذا جائز، النيابة في الأعمال

(١) وقد ذكر هذا ابن القاسم في «حاشية ثلاثة الأصول» (٦١)، وقال: وإن اعتمد على الأحياء الحاضرين والسلطين ونحوهم في ما أقدرهم الله عليه، من رزق أو دفع أذى ونحوه، فهو نوع شرك أصغر.

ووضّح المراد الشيخ ابن عثيمين في «شرح ثلاثة الأصول» (٥٩)، وقال: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير، مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه، مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه، فهذا نوع من الشرك الأصغر؛ لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه.

أما لو اعتمد عليه على أنه سبب، وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده؛ فإن ذلك لا بأس به.

الدنيوية جائزة، وقد وكل النبي ﷺ غير واحد من صحابته، كعروة بن مضرس البارقى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكله النبي ﷺ في شراء شاة ^(١).

وأرسل النبي ﷺ أنيساً إلى امرأة اتهمت بالزنا، وقال له: «وَاعْذُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَأَرْجُمَهَا» رواه البخاري (٢٣١٤)، ومسلم (١٦٩٧) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ونستفيد من قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿٢٣﴾: أن التوكل على الله شرط في صحة الإيمان، فلا يتم الإيمان إلا بالتوكل على الله سبحانه.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: كافيه، وهذا فيه فضل التوكل على الله، فمن توكل على الله واعتمد عليه كفاه الله سبحانه كل سوء، فيجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يكونوا معتمدين على الله سبحانه.

(١) عَنْ عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ، قَالَ: دَفَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا لِأَشْتَرِيَ لَهُ شَاةً، فَأَشْتَرَيْتُ لَهُ شَاتَيْنِ، فَبِعْتُ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجِئْتُ بِالشَّاةِ وَالدِّينَارِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ لَهُ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي صَفْقَةِ يَمِينِكَ»، فَكَانَ يَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى كُنَاسَةِ الْكُوفَةِ فَيَرْبِخُ الرِّبْحَ الْعَظِيمَ، فَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَالًا. رواه الترمذي (١٢٥٨).

[هذا حديث حسن. الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (رقم ٩٢٤) قال والدي: وقد رواه البخاري لكن في سنده مبهمون].

هذا الحديث من دلائل نبوة الرسول ﷺ؛ فقد دعا لعروة البارقى بالبركة في بيعه فكان لو اشترى تراباً لربح فيه، وقد أخرجه البخاري (٣٦٤٢) في «علامات النبوة في الإسلام»، ولكن في سنده مبهمون كما تقدم في كلام والدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وبعضهم يقول: توكلت على الله وعلى فلان، وهذا من الألفاظ الشركية، وإذا أتى بلفظ «ثم» بدل الواو: توكلت على الله ثم عليك، فهذا جائز، وبهذا أفتت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (١).

سؤال: فما هو الدعاء الذي نقوله عند الخروج، عند البنات الصغيرات، تفضلي بارك الله فيك؟

الطالبة تجيب: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

سؤال: أحسنت، وأي شيء تكمله هذا؟

الطالبة تجيب: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أَضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزِلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ».

أحسنت، بارك الله فيكما، هذا دعاء عظيم عند الخروج، من قاله عند خروجه فإنه يكون بإذن الله في حصن من الآفات والمصائب والشُرور، فلا ينبغي التفريط في هذا الدعاء، ينبغي أن نحرص عليه صغارًا وكبارًا، وأن نربي أولادنا على هذا الذكر العظيم، يفوض الأمر إلى الله مَنْ أراد الخروج، يقول هذا الذكر ويفوض أمره إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويعتمد عليه، ويتبرأ من حوله وقوته، ويلجأ إلى الله سُبْحَانَهُ أَلَّا يَعْتَدِي عَلَى أَحَدٍ، وَلَا

(١) ونص الفتوى في «الجنة الدائمة» (١/٣٧٧): يجوز أن يقول الشخص: توكلت على الله ثم عليك؛ فإن التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه والاعتماد عليه، فهو جل وعلا المتصرف في هذا الكون، والتوكل على العبد بعد التوكل على الله جل وعلا تفويض العبد فيما يقدر عليه، فالله له مشيئة، والعبد له مشيئة، ومشية العبد تابعة لمشية الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠].

يُعْتَدَى عَلَيْهِ، والطرقات مظنة لهذا، وخاصة إذا لم يكن هناك أَمْن، ويدعو بدعوات جامعة عظيمة.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]) دليل هذه الثلاث المسائل قوله تَعَالَى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ هذه الآية في سياق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، و آخرهم نبي الله زكريا، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ٨٩ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا.

كما نستفيد: أن المسارعة إلى الخير من أسباب استجابة الدعاء، فالله عَزَّوَجَلَّ ذكر زكريا واستجابة الدعاء له، ثم قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، فمن كان مسارعاً إلى الخير؛ فإنه يُجَاب دَعْوَتُهُ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

﴿رَغَبًا﴾ والرغبة: كما قال ابن القاسم في «حاشية ثلاثة الأصول» (٦٢): السؤال والطلب، والابتهاال والتضرع.

﴿وَرَهَبًا﴾ أيضًا يقول رَحِمَهُ اللهُ: والرهبة: الخوف والفرع.

والخشوع كما قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «مدارج السالكين» (١/٥١٨): **وَالْحُشُّ أَنْ
الْخُشُوعَ مَعْنَى يَلْتَمِثُ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَالْمُحَبَّةِ، وَالذُّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ. اهـ.**
يعني: أنه يجمع هذه المعاني الخشوع.

فهذه الثلاث المسائل من أنواع العبادات القلبية.

ومن أدعية النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ
عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ،
اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مَطْوَعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ
تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي،
وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي» (١).**

وهذا من الأدعية الجامعة؛ فيحفظ إن شاء الله بارك الله فيكن.

وعن البراء بن عازب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ،
فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ
وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا
مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي
أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ».**

(١) رواه أبو داود (١٥١٠) عن ابن عباس، وهو في «الصحيح المسند» (٦٠٦) لوالدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»^(١).

سؤال: لماذا قلنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أيش نستفيد من هذا؟

الطالبة تجيب: هو وأبوه صحابيَان.

أَحْسَنْتِ، هو وأبوه صحابيَان، فإذا كان الأب والابن صحابيَيْن فيستحب أن يقال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مثل: البراء بن عازب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الطالبة تسأل: وإذا كانا صحابيَيْن وليس ابناً له؟

صحابي يروي عن صحابي وليس ابناً له، كذلك يقال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقر:

١٥٠]) الخشية: خوف يشوبه تعظيم - يشوبه أيش؟ أي: يمزجه -، وأكثر ما يكون

ذلك عن علم، كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:

٢٨][٢].

وهنا يذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح ثلاثة الأصول» (٦١) توضيحاً في

الفرق بين الخشية والخوف قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ويتضح الفرق بينهما بالمثال، فإذا خفت من

(١) رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

(٢) يراجع «مفردات القرآن» للأصفهاني.

شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية. اهـ.

وخشية الله سبحانه تكون في السر والعلن؛ ولهذا من أدعية النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ..» (١). وهذا من الأدعية الجامعة.

وهناك من يخشى الله بين الناس، فإذا خلا وقع في العظائم، وارتكب ذنوب الخلوات، وكان الله عز وجل لا يراه ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]. فنسأل الله أن يرزقنا خشيته في الغيب والشهادة، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]. وقال سبحانه في صفات المحسنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

وقال سبحانه مبيناً جزاء أهل الخشية ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾ [البينة: ٨]. وكما علمنا أن الخشية لا تكون إلا عن علم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

(١) رواه النسائي (١٣٠٥) عن عمار بن ياسر.

الْعَلَمَاءُ [فاطر: ٢٨]، وكلما كان أكثر علماً كان أكثر خشيةً لله، يقول النبي ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَتَّقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ» رواه مسلم (١١٠٨) عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤])

والإنابة أعلى مقامات التوبة؛ لأن الإنابة تشتمل على معاني التوبة وزيادة، وهي الإقبال على العبادة، بخلاف التوبة فقد يكون الإقبال على الله ضعيفاً^(١).
سؤال: فما هي شروط التوبة؟

الطالبة تجيب: الإقلاع عن الذنب، والندم على فعل الذنب، والعزم على عدم العود إليها.

صحيح، وإذا كانت تتعلق بحق آدمي؟

الطالبة تجيب: يرجع له.

أحسنّت صحيح، تأتي بها على الترتيب: أن يقلع عن المعصية، بمعنى يتركها، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم ألا يعود إليها أبداً، والشرط الرابع في حقوق الأدمي: أن

(١) قال ابن القاسم في «حاشية ثلاثة الأصول» (٦٤): الإنابة من أجل أنواع العبادات، وهي التوبة، بل أعلى مقام التوبة؛ فإن التوبة:

الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فات، والعزم ألا يعود إليه.

والإنابة تدل على ذلك، وتدل على الإقبال على الله بالعبادات.

والإقبال على الله: رجوع عما لا ينبغي بالكلية، وقصد إلى ما ينبغي من رضاه. اهـ.

فلفظ الإنابة أخص من التوبة؛ لأنها تشمل معاني التوبة، وزيادة وهو الإقبال على الله. بخلاف التوبة فقد يكون إقباله على الله ضعيفاً.

يرجع الحقوق إلى أهلها، حقوق الآدميين مبنية على المشاحة، وحقوق الله مبنية على المسامحة؛ فلهذا حفظكن الله يوم القيامة يكون القصاص في المظالم التي تكون بين العباد، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء، كما قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ» رواه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود. فنسأل الله العافية أن نلقى الله عزَّجَلَّ ونحن نتحمل حقوق الناس، هذه الحقوق ديون كالغيبة والأذى والظلم والاعتداء على الأعراض والأنفس والأموال، هذه ديون قد يكون الإنسان متحملاً لديون وهو لا يدري؛ لغفلته، يظن أن الديون خاصة بالديون المعروفة، يطلب من صاحب الحق أن يقرضه من المال كذا وكذا، فيظن أن الدين خاص بهذا، قد تكون الديون معنوية، وقد تكون الديون حسية، فمن ظلم غيره فقد تحمل حقاً من حق أخيه، نعوذ بالله أن نظلم أو أن نظلم.

وهنا سؤال نتذاكر مع الأخوات حفظهن الله ومع البنات بارك الله في الجميع:

نسمع بعض العوام يقول: اللهم اجعلني من المظلومين ولا تجعلني من الظالمين، هل هذا دعاء صحيح أم لا؟

الطالبة تجيب: لا.

قولي لماذا؟

الطالبة تجيب: الدعاء اللهم اجعلني لا ظالماً ولا مظلوماً، اللهم إني أعوذ بك أن

أظلم أو أظلم.

أحسنيت، صحيح فهذا من الخطأ؛ لأنه إذا قال: اللهم اجعلني من المظلومين، يدعو على نفسه بالفتنة، فإذا جاءت هذه الفتنة يضعف ولا شك في ذلك، يضيق صدره، تضعف معنويته، يُشغل، فالسلامة لا يعادها شيئاً «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا» رواه أبو داود (٤٢٦٣) عَنِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، وهو في «الصحيح المسند» (١١٤٠) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فما أحسن العلمَ يصحح لنا الأخطاء!

﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ هذه طريقة الإمام النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر المسألة بدليلها، وهذه راحة لطالبة العلم؛ لأننا لا نقبل الحكم إلا بدليل ﴿أَتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. الأعرابي يأتي إلى النبي ﷺ: إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَشَدُّ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟^(١) أي: لا تغضب علي؛ لأنني أريد الوصول إلى الحق. ويقول والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في صفة صلاة النبي ﷺ: «فَسَلُّوا عَنِ الدَّلِيلِ إِذَا أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَكُونُوا طَلَبَةَ عِلْمٍ. اهـ.

فهذه نعمة علينا حفظكن الله، الطوائف من أهل الأهواء كالخوارج والمعتزلة والرافضة يستدلون بقال فلان، وقال فلان، ويتعبدون لله عزَّ وجلَّ بأفهام أهل البدع للأدلة الشرعية، فزاعوا وضلوا.

(١) رواه البخاري (٦٣) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أي: استسلموا لله بطاعته.

الإسلام على قسمين:

كوني قدري: فالكل خاضع لله عزَّ وجلَّ مستسلم له قهراً وقدرًا وملكًا، قال سبحانه:

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

﴿٨٣﴾ [آل عمران: ٣٨].

وشرعي ديني: وهو: الاستسلام لأحكام الله الشرعية، ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ

﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾^(١).



(١) يراجع «ثلاثة الأصول» (٥٨).

أسئلة الدرس السابع:

١. ما هو الإسلام لغة وشرعا؟
 ٢. ما هي أركان لا إله إلا الله؟
 ٣. ما هي أركان الإسلام؟
 ٤. ما هي أركان الإيمان؟
 ٥. ما دليل الرغبة والرغبة؟
 ٦. ما تعريف التوكل على الله؟
 ٧. ما دليل التوكل على الله عز وجل؟
 ٨. ما هي القاعدة التي أخذناها في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ
- مُؤْمِنِينَ** ﴿٢٣﴾ وأشباه ذلك.
٩. هل التوكل على المخلوق شرك أكبر أو أصغر؟
 ١٠. ما هي الرغبة؟
 ١١. ما هي الرهبة؟
 ١٢. ما هي الخشية؟
 ١٣. ما معنى: واغسل حوبتي.. الحوب ما هو؟
 ١٤. الإسلام ينقسم إلى قسمين كوني وشرعي فما هما مع الدليل؟
 ١٥. ما هي الإنابة؟
 ١٦. اذكر شروط التوبة؟



الدرس الثامن

الدرس (٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَدَلِيلُ الْاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾﴾ [الفاتحة:

٥]، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»، وَدَلِيلُ الْاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ

أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [١] [الفلق: ١]، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [١] [الناس: ٢].

وَدَلِيلُ الْاسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ

لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]. وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٢-١٦٣]. وَمِنَ السُّنَنِ:

«لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»، وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ

شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [٧] [الإنسان: ٧].

الشرح والفوائد

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾)

[الفاتحة: ٥]، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» تقدم تعريف العبادة لغة

واصطلاحاً، فعند من؟

الطالبة تجيب: العبادة في اللغة: الخضوع والتذلل، يقال: طريق معبّد، أي: مذلّل.

واصطلاحًا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: الْعِبَادَةُ هِيَ: اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ^(١).
أَحْسَنْتِ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الاستعانة: طلب العون.
وإذا قَيَّدْنَا وَقَلْنَا: الاستعانة بالله، فيكون التعريف: طلب العون من الله.
وفي هذه الآية الكريمة: أن الاستعانة لا تكون إلا بالله **عَزَّوَجَلَّ** وحده؛ لأنه قدم المفعول به، وفي القاعدة كما تقدم: تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.
فقوله **سُبْحَانَهُ**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في قوة: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك.

وطلب العون من الله **عَزَّوَجَلَّ** عبادة عظيمة، حتى إن ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «مدارج السالكين» (١/ ١٠٠) يقول: أَنْفَعُ الدُّعَاءِ طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِ اللَّهِ.
قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].
اهـ.

والشاعر يقول:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى ❀ فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

فلهذا النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ! وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ!»، فَقَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدْعُنِّي فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١).

وتقدم معنا في درسٍ ماضٍ: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مَطْوَعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»^(٢).

دعوات جامعة ينبغي التنافس في حفظها، والحرص عليها، فلا يدرك خير إلا بعون الله سبحانه.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **«فِي الْحَدِيثِ إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»** هذا قطعة من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تعليم العقيدة.

وروى الإمام مسلم (٢٦٦٤) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ اخِرْصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ»، حَثَّ النَّبِيُّ

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (١١٠٧) لَوَالِدِي رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

(٢) رواه أبو داود (١٥١٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (٦٠٦) لَوَالِدِي رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على الحرص على المنافع، والاستعانة بالله على ذلك، وترك العجز، والعجز في هذا الموضع: الكسل.

فلاستعانة بالله عَزَّجَلَّ شأنها عظيم، وخاصة عند الشدائد وتوقع المكروه، فنبى الله يعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول لنبه: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقد دخل مكاناً وجلس على قفِّ البئر^(١)، ودلى رجله فيها، فجاء أبو بكر وجاء عمر بن الخطاب وجاء عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فرادى، وكان يستأذن أبو موسى الأشعري في الدخول إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فجاء أبو بكر فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ائذن له وبشره بالجنة، ثم جاء عمر، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ائذن له وبشره بالجنة، ثم جاء عثمان بن عفان فاستأذن، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فحمد الله عثمان، وقال: الله المستعان^(٢).

(١) قال ابن الأثير في «النهاية»: قَفُّ الْبَيْرِ: هُوَ الدَّكَّةُ الَّتِي تُجْعَلُ حَوْلَهَا. وَأَصْلُ الْقَفِّ: مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ وَارْتَفَعَ، أَوْ هُوَ مِنَ الْقَفِّ: الْيَاسِ؛ لِأَنَّهُ مَا ارْتَفَعَ حَوْلَ الْبَيْرِ يَكُونُ يَاسًا فِي الْغَالِبِ.

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣) عن أبي موسى الأشعري، أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ: لَأَكْزِمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتُ أَرِيْسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، وَبَإِثْمَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَتَهُ فَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بَيْتِ أَرِيْسٍ وَتَوَسَّطَ قَفُّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبَيْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ ثُمَّ دَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ». فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ،

وهذا من ثبات عثمان بن عفان؛ فإن المكروه له تأثير في زعزعة النفس واضطرابها، ولكن عثمان رضي الله عنه حمد الله وقال: الله المستعان.

فينبغي قول هذه الكلمة العظيمة عند المكاره والمضار والشدائد.

وعمار بن ياسر رضي الله عنه كانوا في بناء المسجد النبوي يحملون لبنة لبنة، وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه يحمل لبنتين لبنتين، فجعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يمسح غبار التراب عنه، ويقول: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية» - وكلمة «ويح» تقال عند الترحم -، فقال عمار: أعود بالله من الفتن. والحديث رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (١).

ورَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعَهُ فِي الْقَفِّ، وَكَلَّ رِجْلَيْهِ فِي الْبُئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يَرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يُرِيدُ أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «أَذْنُ لَهُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ»، فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْقَفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَلَّ رِجْلَيْهِ فِي الْبُئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إِنْ يَرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «أَذْنُ لَهُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بُلُوَى تُصَيِّبُهُ»، فَجِئْتُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ، وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْجَنَّةِ عَلَى بُلُوَى تُصَيِّبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقَفَّ قَدْ مَلِئَ فَجَلَسَ وَجَاهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ.

وفي رواية للبخاري (٣٦٩٣) أن النبي صلى الله عليه وسلم: «افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تُصيبه»، فإذا عثمان، فأخبرته بها قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

(١) «صحيح البخاري» (٤٤٧) عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَلِابْنِهِ عَلِيٌّ: انْطَلَقَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُضْلِحُهُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَى، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى أَتَى ذِكْرَ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبْنَةً لَبْنَةً وَعَمَّارٌ لَبَتَيْنِ لَبَتَيْنِ، فَرَأَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ» قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ.

وهذا من ثبات عمار بن ياسر؛ مباشرة لجأ إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، واعتصم به من الفتن،
فنسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

حكم الاستعانة بالمخلوق، هذا على قسمين:

❖ شرك أكبر، وهو أن يستعين بميت أو بمخلوق حي في شيء لا يقدر عليه،
فمن استعان بميت ودعاه فقد وقع في الشرك الأكبر، مثل قول بعض الجهال: يا حبيب
الله محمد، يستعين بالنبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. وكم يُسمع من الشريكات عند الروضة، ومن
التوسل بجاه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟! والتوسل بجاه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ليس من التوسل
المشروع.

التوسل المشروع أن يتوسل الإنسان إلى ربه بعمله الصالح لا بعمل غيره، ومن
قال: أتوسل إليك بجاه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يكون قد توسل بعمل غيره.

سؤال: من تذكر لنا أنواع التوسل المشروع؟

الطالبة تجيب:

التوسل بأسماء الله وصفاته.

التوسل إلى الله بالعمل الصالح.

التوسل بدعاء الرجل الصالح.

أحسن، صحيح. فالتوسل المشروع على ثلاثة أقسام:

التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ

بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآية.

التوسل إلى الله بالعمل الصالح، يعني: يتوسل الشخص إلى الله بعمله الصالح ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦) ﴿آل عمران: ١٦﴾. ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١٩٣) ﴿آل عمران: ١٩٣﴾. التوسل إلى الله بالعمل الصالح في هذه الآية وهو الإيمان بالله، التوسل إلى الله بالعقيدة الصحيحة، ومن ذلك قصة الثلاثة التي انطبقت عليهم الصخرة، فتوسل كل واحد إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بعمله الصالح.

التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح، يعني: يقول له: ادع لي، وتقييد الرجل بالصالح يدل على أن صلاحه معلوم، فما يُطلب الدعاء من إنسانٍ لا يُعلم صلاحه، ومن باب أولى أنه لا يطلب الدعاء من الفاسق، ومن أدلة هذا النوع قول أم سليم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ، ادْعُ اللَّهَ لَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ» رواه البخاري (٦٣٤٤)، ومسلم (٢٤٨٠).

رضي الله عن أم سليم وأرضاهما، لم تذهب بولدها إلى أهل الدنيا وطلب أرزاقها، لكنها ذهبت بأنس إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ ليتعلم منه العلم النافع، والوحي، والأخلاق، والآداب.

فينبغي للأم الصالحة أن تقتدي بأم سليم في حرصها على نفع ولدها، وتفقهه في دين الله عز وجل، وقد جاء إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكان عمره عشر سنين، وصحب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عشراً، وتوفي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو ابن عشرين عاماً.

فلا استعانة بالخلق على قسمين:

- ❖ شرك أكبر، وهو أن يستعين بميت أو بمخلوق حي في شيء لا يقدر عليه.
- ❖ أن يستعين بمخلوق فيما يقدر عليه، وهذا جائز، قال الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستعين بصحابته في نشر الدعوة وتبليغ العلم، أرسل معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن، وأرسل علي بن أبي طالب، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شأن مسيلمة الكذاب: «وهذا ثابت يجيبك عني»^(١) ثابت بن قيس بن الشماس رضي الله عنه، إلى غير ذلك.

إذا الاستعانة بالخلق على قسمين، فليحفظ ويفهم إن شاء الله، فهذا من صميم

عقيدتنا.

(١) روى البخاري (٤٣٧٣)، ومسلم (٢٢٧٣) عن ابن عباس، قال: «قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنَّ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، فَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِطْعَةُ جَرِيدَةٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، قَالَ: لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَكِنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَيْنِ أَذْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ».

❖ هناك الاستعانة بالأعمال الصالحة، وهذا مشروع، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

فما يستعان به على الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب الصبر والصلاة؛ ولهذا النبي ﷺ كان إذا فزعه أمر صلى، وهذا أيضًا من الثبات، فينبغي الفرع إلى الصلاة عند الكربات والشدائد، ولا يبقى الإنسان فريسة وأضحية لتلاعب الشيطان به، وأن يؤمن بالقدر خيره وشره، «وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» رواه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

سؤال: ما معنى «عمل الشيطان» في هذا الحديث؟

أي: وساوسه، والوساوس تتراكم على القلب، ولا تنتهي، إذا افتتح باب الوساوس «ليتني فعلت، وليتني فعلت» لا تنتهي حتى يثقل الرأس، وتضعف المعنوية، ويشغل القلب، ويفتح مدخلًا للشيطان.

وابن القيم رحمه الله ذكر أشياء تضر بالعقل، ومنها: الوحدة، والأفكار^(١).

أما الوحدة المذمومة فهي: الانفراد عن الأهل والعائلة والناس باستمرار، هذا قد يؤدي إلى أمراض نفسية، الوحدة جميلة لكن لا على وجه الاستمرار، النبي

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٣٧٩/٤): وَمَا يَضُرُّ بِالْعَقْلِ: إِذْمَانُ أَكْلِ الْبَصَلِ، وَالْبَاقِلَا، وَالزَيْتُونِ، وَالْبَاذَنْجَانِ، وَكَثْرَةُ الْجَمَاعِ، وَالْوَحْدَةُ، وَالْأَفْكَارُ، وَالشُّكْرُ، وَكَثْرَةُ الضَّحِكِ، وَالْغَمُّ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» رواه الإمام أحمد (٥٠٢٢).

ولكن في بعض الأحيان الوحدة - الخلوة - محبوبة، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يخرج إلى غار حراء فيتحنث فيه ذوات العدد من الليالي.

وكما في حديث أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.. الحديث وفي آخره: وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)،

فالخلوة تعين على جمع الفكر، وتيسير الحفظ، وجلب الخشوع، وفيها سلامة للقلب، وصيانة الدين، لكن من غير استمرار.

والمسألة اعتزال للشر وأهله، ومخالطة للخير وأهله.

وأما الأفكار فإنها تُسبب الكآبة، وشغل البال، والأرق، والقلق، والحمول، وقد تؤدي إلى الاعتراض على قدر الله عَزَّوَجَلَّ، وإلى أمراض نفسية، وإلى الجنون، والله المستعان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الاستِعَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ①)

[الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ② [الناس: ٢]

تعريف الاستعاذة: طلب العوذ.

والاستعاذة تكون بالله **عَزَّوَجَلَّ** وبأسمائه وصفاته **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾** ①

الفلق: ضوء الصبح.

وهذا فيه الاستعاذة بالله وباسمه الرب، وهكذا **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾**

①

وثبت عن جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ**

عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»،

قَالَ: **﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾** [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» **﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ**

شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «هَذَا

أَهْوَنُ - أَوْ هَذَا أَيْسَرُ -» رواه البخاري (٤٦٢٨).

ويقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ

اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» رواه مسلم

(٢٢٠٢) عن عثمان بن أبي العاص.

و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ

الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَبِسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيمِ»، قَالَ: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ. رواه أبو داود

(٤٤٦)، وهو في «الصحيح المسند» (٨٠٥) لوالدي **رَحِمَهُمُ اللَّهُ**

من أسباب حفظ الحديث العمل به، إذا أردت حفظ الحديث فاعمل به، التي تعمل وتقرأ الأذكار في مواضعها، وتتأسى بنبيها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعمل بمقتضى الأدلة تثبت لها المحفوظات والمعلومات، فعند دخول المسجد يقال هذا الذكر، وإذا ضُم إليه الذكر الآخر فحسن: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، ويقول عند الخروج: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(١).

وهكذا يكون العبد ذاكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ، قريبًا من ربه، ولا يكون من الغافلين.

حكم الاستعاذة بال مخلوق: الاستعاذة بالمخلوق على قسمين:

❖ شرك أكبر، وهو أن يستعيز بمخلوق ميت أو حي فيما لا يقدر عليه إلا الله، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ① ﴿[الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ②.

فمن استعاذ بميت أو بحي في شيء لا يقدر عليه فقد وقع في الشرك الأكبر، مثل: أن يستعيز بجني في طرد الشياطين من البيوت؛ لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، أن يستعيز بميت في دفع البلاء عنه.

(١) عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ» رواه مسلم (٧١٣).

❖ القسم الثاني: أن يستعيد بمخلوق فيما يقدر عليه فهذا جائز، يقول النبي

صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ» متفق عليه عن أبي هريرة (١).

وفي «صحيح مسلم» (١٦٨٩) عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي خَزُومٍ سَرَقَتْ، فَأُتِيَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»، فَقُطِعَتْ.

وأنكر عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها استعادت في حدٍّ.

وهاتان السورتان: الفلق والناس، ينبغي قراءتهما والتعوذ بهما كل ما تيسر.

ثبت عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ سُورَةَ هُودٍ، وَسُورَةَ يُوسُفَ. فَقَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» رواه النسائي (٩٥٣) (٢).

وروى النسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٩٨) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا ابْنَ عَامِرٍ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) [الفلق]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (٢) [الناس].

(١) البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٢) صححه والدي الشيخ مقبل في «الصحيح المسند» (٩٣٣).

في هذا الحديث طلب عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعلمه سورة هود وسورة يوسف؛ ليتحصن بهما، فأرشده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قراءة المعوذتين، وأنه لا أبلغ أي: لا أعظم من التعوذ بهاتين السورتين.

فهذا من أفضل الأدعية والتحصن من شر الشيطان ومكائده، ومن شر الإنس والجن ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ﴿٢﴾، ولا ينبغي لأحد أن يملّ من التعوذ بهاتين السورتين، ففيهما حفظ العبد من كل شر بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الاستِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].)

الاستغاثة: طلب الغوث.

والاستغاثة على قسمين: على التفصيل المتقدم في الاستعانة والاستعاذة. فإذا كان المخلوق قادراً على الإغاثة فالله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. وَمِنْ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»

الحديث رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب.

والذبح لغير الله شرك أكبر، والدليل هذه الآية والحديث الذي معنا، وقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. أي: اذبح لله.

فالذبح ليس فيه تفصيل كما في المسائل المتقدمة، فهو شرك أكبر.

وما يُسمَّى بالهَجَر، وهو الذبح عند وجود خصومات بين القبائل، فيذبح المخطئ؛ تطيباً لنفس الآخر، هذا داخلٌ في الذبح لغير الله، قال والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ في حاشية «تحفة المجيب» (١٩١): وبعد هذا فقد انسلخ من السنة، بل يُخشى عليه أن ينسلخ من الدين، فقد تدهور تدهوراً مشيناً، في هذه الأيام حدث خصام بين طرفين فحُكِّم محمد المهدي ومدير الناحية وشخص ثالث يقال له: عبدالكريم، فحكم المحكمون بذبح أربعة أثوار عند أحد الطرفين، وهذا ذبح لغير الله، الذبح حرام والأكل منه حرام، فأف لك يا محمد المهدي. اهـ.

وفي الآية دليل أن الصلاة والنسك -وهو: الذبح- وحياة الإنسان ومماته لله عَزَّوَجَلَّ، فلا يجوز للإنسان أن يتصرف في أعضائه إذا كان سيؤدي به إلى التلف والهلاك؛ لأنه هو وأعضاؤه ملك لله، ونفسه لله، وفي غير ما حديث كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ».

فمثلاً حفظكن الله: إذا أراد أحد أن يتبرع بإحدى كُليتيه -بضم الكاف (١)- ولكن قال له الطبيب: إذا تبرعت بإحدهما قد تموت، لا تتحمل صحتك، فهنا لا يجوز

(١) نحن نقول: الكلية بكسر الكاف، لكنها من لغة العوام، فهي بضم الكاف الكلية، قال الشاعر:

فَكُونُوا أَنْتُمْ وَبَنِي أَبِيكُمْ مَكَانَ الْكُلَيْتَيْنِ مِنَ الطَّحَالِ

له أن يعطي، أو كذلك أن يتبرع بدم إذا كان يؤدي به إلى الضرر أو إلى الهلاك؛ لأنه ملك لله، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

مع أنه قد اختلف أهل العلم في إعطاء الكلية لأحد، مختلف في هذا، فبعض أهل العلم يمنع مطلقاً، وقالوا: أنت لا تملك نفسك، أنت ملك لله عز وجل، وإعطائك الكلية لغيرك على غلبة الظن، فمحتمل أنها تنجح، وقد لا تنجح.

على كل حال هذه الآية فيها أن الإنسان لا يملك نفسه ولا أعضائه، ولا يملك أوقاته، فلا يجوز لأحد أن يضيع أوقاته؛ لأن الله عز وجل أمرنا بالمحافظة على الأوقات «أخِرْصَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ».

لكن إذا قرر الأطباء أنه يتحمل، وأن المريض يتففع بها، بمعنى صالحة له، فمن باب إنقاذ النفس، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، والله أعلم.

﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) سؤال: من هم العالم؟

الطالبة تجيب: كل ما سوى الله عز وجل.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ

مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

النذر: إلزام المكلف نفسه بعبادة.

وفي هذه الآية مدح الموفين بالنذر، وهذا دليل على جواز النذر لله عَزَّجَلَّ، وكما قال

تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وفيه دليل على أن النذر عبادة، والنذر لغير الله شر أكبر.

سؤال: من تأتي بتعريف الشرك الأكبر؟

الطالبة تجيب: هو مساواة غير الله بالله فيما هو خاص بالله.

وبقي أن نعلم أنه ينبغي اجتناب النذر؛ لأنه مكروه، فعن ابن عمر، عَنِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»

رواه مسلم (١٦٣٩)

يعني: أن النذر لا يأتي بخير؛ لأن الأمور مكتوبة قد قدرها الله عَزَّجَلَّ وكتبها، ﴿إِنَّا

كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وإذا نذر يكلف نفسه بشيء وقد لا

يطيق الوفاء به بعد حين، فيرجع على نفسه بالندم والحسرة، ثم يأتي يسأل يلتمس له

مخرجًا، فينبغي تنبيه النساء على هذا، وأن تدعو الله فهي لا تحتاج إلى النذر.

ومعنى قول النبي ﷺ: «وَأِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ» البخيل عادة يمسك ماله، فإن نذر وقال: إن شفى الله مريضاً تصدقت بكذا وكذا، فشفى المريض، فيجب عليه أن يخرج صدقته لله عز وجل، وليس له مخرج.

انتهينا والله الحمد من الأصل الأول، وهو معرفة العبد ربه، وفي الدرس الآتي نتقل إلى الأصل الثاني إن شاء الله تعالى.



أَسْئَلَةُ الدَّرْسِ الثَّامِنِ:

١. تعريف الاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والنذر؟
٢. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذا في قوة أي عبارة؟
٣. ما هي أنواع التوسل؟
٤. الاستعانة بالمخلوق على قسمين، فما هما؟
٥. ما معنى «عَمَلَ الشَّيْطَانِ» في حديث: «وإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»؟
٦. هل يجوز الاستغاثة بالمخلوق مع الدليل؟
٧. حكم الذبح لغير الله مع الدليل؟
٨. هل النذر عبادة مع الدليل؟
٩. ما حكم النذر لغير الله مع الدليل؟
١٠. هل الأدلة فيها الحث على النذر ابتداءً؟
١١. ما هو أفضل ما يتعوذ به المتعوذون مع الدليل؟
١٢. من الذي خدّم النبي ﷺ عشر سنين، ومن هي أمه؟
١٣. من صحابي الحديث ومن رواه: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»؟



الدرس التاسع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ، وَهُوَ الْاِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ

الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَأَلَمَلَيْكَةَ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨]، وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، «لَا إِلَهَ» نَافِيًا

جَمِيعُ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، «إِلَّا اللَّهُ» مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا

أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي

بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً

فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا
نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ
أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ
مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يَعْبُدَ اللَّهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقبل الدخول في الدرس أبشّر أخواتنا ومن يتابع منا أن العلم ميسر، كان والدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** يذكر هذا، يقول: العلم ميسر، ويذكر مثالا: الذي يأتي متأخرا لطلب العلم ما ندري بعد أيام إلا وهو ينافس إخوانه ويشاركهم في الإجابة.

سبحان الله! يعني: يصل إلى مرتبتهم أو يكاد، وخاصة إذا كان ذا همة عالية، بل ربما يفوق من سبقه في طلب العلم، العلم ميسر، لكن لا بد من بذل الأسباب الجد والاجتهاد، ﴿يَٰحَيِّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

ولا بُدَّ من الحرص على تقبل النصائح؛ لأن الله **عَزَّجَل** يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعُظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾ [النساء]. فالنصائح التي تُبذل أثناء الدرس ينبغي الحرص عليها، هذا من طرق النجاح في طلب العلم، أما أن تكونوا في وادٍ والتوجيهات في وادٍ آخر، فهذا سبيل الفشل والحرمان.

وإن من نصائحي: الاهتمام بالدروس؛ لأن الدروس وهي تلقي العلم النافع مفتاح للعلوم، ونبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** تلقى القرآن من جبريل **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام** عن ربه **عَزَّجَل**، والصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** تلقوا العلم من النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وهكذا التابعون تلقوا من الصحابة وهكذا.

ومن كلام والدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: رب جلسة عند المعلم تعدل قراءة شهر. سبحان الله تعدل قراءة شهر! تطالعين، تقرئين في الكتاب تتفلت المعلومات، لكن التلقي سبحان الله له أثر كبير في دخول المعلومات وارتساخها في الذاكرة.

أيضاً من نصائحي حفظكن الله: الاهتمام بمراجعة الدرس، أنا لا أرضى لمن تحضر عندي ألا تراجع إلا قبل الحضور بالساعة أو نحوها؛ لأن هذا يكون فيها المراجعة على عجلة، ولا ترسخ المعلومات، ارتساخها مؤقت، قد تعلق في الذهن لكنه مؤقت وتفتلت سريعاً، لكن إذا أعطيت المراجعة حقها، وعندك حفظ ملزمة بهن عندك ولله الحمد حفظ أدلة المسألة، عندك الآيات القرآنية وعندك الأحاديث النبوية، حديث نبيك محمد ﷺ، ما هي قصص ولا خزعات، ولا قالت عمتي وجدتي، فتحتاجين تحفظين، التي تهتم بالحفظ ومراجعة الدرس تجد إن شاء الله الثمرة، وتجد النتيجة الطيبة، نسأل الله لنا ولأخواتنا وبناتنا التوفيق لما يحبه ويرضاه.

أتيني إلى مجلس العلم بدافع من قلبك، نسأل الله البركة، واحرصي على الاستفادة، ومراجعة الدرس قبل، نعم الدرس صغير، لكنه يحتاج له وفيه من المبتدئات، ونود أيضاً الصغيرات أن يستفدن خاصة في بعض المسائل التي على مستواهن، وإن شاء الله مع الأيام نترقى شيئاً فشيئاً، نسأل الله التيسير، والقراءة في كتب السنة خير وبركة، إن كانت المعلومة قد مرت معك ففيها تثبيت للمعلومة، وتمربك معلومات جديدة، والله المستعان.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (الأصل الثاني)

الأصل الثاني من الأصول الثلاثة، الأصل الأول: معرفة العبد ربه، والثاني: معرفته دين الإسلام، والأصل الثالث: معرفة نبيه محمد ﷺ، هذه الأصول الثلاثة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ)

هذا الأصل الثاني: أن يعرف هذا الدين الحنيف بالأدلة.

فدين الإسلام يعرف إجمالاً وتفصيلاً بالأدلة، لا بالدعاوى والتقليد ﴿أَتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ).

الإسلام لغة: الاستسلام والانقياد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَقَلَّهُوَ لِلْجَبِينِ﴾ [١٠٣] ﴿الصافات﴾ (١).

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ).

هذا تعريف الإسلام شرعاً.

والإسلام على قسمين:

كوني قدري وهو: استسلام جميع الخلق كلهم لله، أي: خاضعين لله مستسلمين له قهراً وقدرًا وملكا، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَهُوَ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٦٣/٧): وَالْإِسْلَامُ هُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ، وَهُوَ الْخُضُوعُ لَهُ وَالْعُبُودِيَّةُ لَهُ. هَكَذَا قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ، أَسْلَمَ الرَّجُلُ إِذَا اسْتَسْلَمَ.

وشرعي ديني وهو: الاستسلام لأحكام الله الشرعية، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

(وهو) أي: الإسلام.

(الاستسلام لله) الاستسلام لله عز وجل باطنًا وظاهرًا.

(بالتوحيد) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاما شرعياً، وذلك بتوحيد الله عز وجل وافراده بالعبادة^(١).

(وَالانقيادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ) (الانقيادُ): الخضوعُ، يُقَالُ: (قَادَهُ فَانْقَادَ)، وَ (اسْتَقَادَ) أَيْضًا^(٢).

الانقياد لله عز وجل ظاهرًا، هذا عمل الجوارح، وباطنًا وهو عمل القلب.

(بِالطَّاعَةِ) امثال أوامر الله واجتناب نواهيه.

(وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ) لا يتم التوحيد لأحد ولا يصح لأحد حتى يتبرأ من

الشرك والمشركين، قال سبحانه وتعالى عن نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾، وقال الله عز وجل لنبيه محمد

صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آَعَمَلُ

(١) «شرح ثلاثة الأصول» (٦٧).

(٢) «مختار الصحاح» (٢٦٢).

وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ [يونس: ٤١]، وسورة الكافرون دليل على البراءة من الشرك وأهله، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فلو قال قائل: كُلُّ له دينه، أنا أوحده الله وأعتقد عقيدتي، ومن أحب أن يوحده الله فعل، ومن أحب أن يعبد المسيح ابن مريم فعل، أو غير ذلك. فإنه لا يكون موحدًا؛ لأنه لم يتبرأ من الشرك وأهله، لا بد من الولاء والبراء.

وأولئك الذين يدعون إلى وحدة الأديان، دعوتهم دعوة إلى الوثنية والشرك بالله عز وجل، اليهودي يبني له كنيسة، النصراني يبني له صومعة، المسلم يبني له مسجدًا.

سؤال: أقسام التوحيد ثلاثة، فمن تذكرها؟

الطالبة: توحيد الألوهية، توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصفات.

فما هو توحيد الألوهية، وما هو توحيد الربوبية، وما هو توحيد الأسماء

والصفات؟

الطالبة تجيب: توحيد الربوبية: إفراد الله بالملك والخلق والتدبير، أو توحيد الله في

أفعاله.

توحيد الألوهية وهو: إفراد الله بالعبادة، توحيد الله في أفعال العباد.

وتوحيد الأسماء والصفات وهو: ألا نسمي الله ولا نصفه إلا بما جاء عن الله

وعن رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ)

(وَهُوَ) أي: دين الإسلام، ويدل لهذه المراتب حديث جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقد سأل النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» رواه مسلم (٨) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالدين له ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

والإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

فإذا اجتمعا افترقا كما في حديث جبريل، فُسر الإيمان بعمل الباطن، وفُسر الإسلام بالعمل الظاهر، وكما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

وأما إذا افترقا اجتمعا، يعني: يشمل كل منهما الآخر، وهذا كما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الحديث في قصة وفد عبد القيس وفيه: أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: وأمركم بالإيمان بالله وخده، قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخَدَهُ» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ» رواه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

ففسر النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان بالأعمال الظاهرة.

الطالبة تسأل: ما معنى «وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ»؟

الغنيمة ما أخذ من مال الكفار بقتال. فالغنيمة يؤدي منها الخمس، ومصرفه في قوله تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، يخرج واحد من خمسة، ويصرف في هذه المصارف المذكورة في الآية، بارك الله فيك^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا) أي: كل مرتبة من مراتب الدين لها أركان. (فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ) هذه أركان الإسلام، أركان الإسلام خمسة، كما ذكرها جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكما في حديث ابنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ:

(١) وللفادة كان لدينا تعليق في هذا على «الفصول في سيرة الرسول»، فدونكم:

في الآية دليل أن الغنيمة تقسم إلى خمسة أسهم، ثم يجعل أربعة على جهة. والسهم الخامس يقسم إلى خمسة، سهم يكون لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله، والأربعة يكون سهم لذوي القربى-أقرباء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسهم للأيتام، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل-وهو المسافر الذي انقطعت به النفقة-. والخمس الذي هو لله وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا يرد إلى المسلمين، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا يَحِلُّ لِي مِنْ غَنَائِمِكُمْ مِثْلُ هَذَا إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ فِيكُمْ» رواه أبو داود (٢٧٥٥) عن عمرو بن عبسَةَ، وهو في «الصحيح المسند» (٢٠٢٩) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والأسهم الأربعة تقسم بين المجاهدين ومن يرى الإمام أن يُعطى حسب مصلحة الإسلام. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٣٠٧/٧): فيه دليل على أنه لا يأخذ الإمام من الغنيمة إِلَّا الْخُمُسَ وَيَقْسِمُ الْبَاقِي مِنْهَا بَيْنَ الْغَانِمِينَ، وَالْخُمُسُ الَّذِي يَأْخُذُهُ أَيْضًا لَيْسَ هُوَ لَهُ وَحْدَهُ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَسَبِ مَا فَصَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، ثم ذكر آية الأنفال.

شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجُّ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ^(١).

(شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الشهادة: الإخبار بالشيء مع اعتقاد صحته وثبوته.

فنستفيد: أن الشهادة تكون بعلم لا بجهل، وبيقين لا بشك.

سؤال: ما معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؟

الطالبة: لا معبود بحق إلا الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِقَامُ الصَّلَاةِ)

سؤال: تعريف الصلاة لغة واصطلاحاً؟

الطالبة: الصلاة لغة: الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ

لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

واصطلاحاً: عبادة ذات أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختمة بالتسليم.

وقيد الصلاة بالإقامة يفيد معنى زائداً على ذكر الصلاة وحده؛ ولهذا نجد أغلب

الآيات فيها ذكر إقام الصلاة، ليس فيها ذكر الصلاة فقط ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا

الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ [الحج: ٣٥]، فالمصلون في

الناس قليل، ومقيم الصلاة منهم أقل القليل.

إقام الصلاة: الإتيان بالصلاة على الوجه التام المشروع.

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

يعني: أنه يؤديها بأركانها وواجباتها ومستحباتها، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ

الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٦٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠] (١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِتَاءُ الزَّكَاةِ)

الزكاة لغة: النماء والزيادة.

وشرعاً: حق يجب في مال خاص لطائفة مخصوصة في زمن مخصوص (٢).

سؤال: الطائفة المخصوصة من هم هؤلاء؟

هم المذكورون في مصارف الزكاة الثامنة، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ

وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

﴿التوبة: ٦٠﴾. هؤلاء مصارف الزكاة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَصَوْمُ رَمَضَانَ)

تعرف الصيام لغة: الإمساك.

واصطلاحاً: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية

التعبد لله عَزَّوَجَلَّ.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصلاة وأحكام تاركها» (١٤٠): إقام الصلاة: الإتيان بها قائمة تامة القيام والركوع والسجود والأذكار.

ولن تكاد تجد ذكر الصلاة في موضع من التنزيل إلا مقروناً بإقامتها.

فالمصلون في الناس قليل، ومقيم الصلاة منهم أقل القليل.

(٢) تعريف الزكاة شرعاً من كتاب ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ «المبدع في شرح المقنع» (٢/٢٩١).

لا بُدَّ من هذا القيد بنية التعبد لله **عَزَّوَجَلَّ**؛ ليخرج الصيام الذي ليس بنية التعبد،
كمن يصوم لطلب الشفاء؛ لأن الصوم من أسباب العافية.

قوله **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ)**

الحج لغة واصطلاحًا؟

الحج لغة: القصد. (يقال): **حَجَّ** إلينا فلانُ أي: قَدِمَ، وَحَجَّه يُحِجُّه حَجًّا: قَصَدَهُ^(١).

سؤال: هل ممكن إذا ذهبت إلى صنعاء تقولي: حججت، أم لا؟

الحج لغة: القصد، على هذا ينطبق لغة إذا ذهبت إلى مكان، إذا ذهبت إلى المسجد، إلى بيت. ممكن إذا أنت بين طالبات العلم يفهمن، وإلا ما يشوش على العوام؛ لأن المعروف الحج شرعًا، وهو يصدق عليه لغة: القصد، أي مكان تقصدينه فتكوني قد حججت إليه.

وأما اصطلاحًا: فهو القصد إلى بيت الله الحرام في زمن مخصوص لأداء أعمال مخصوصة.

وعبارة في زمن مخصوص إشارة إلى أشهر الحج **﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾**
[البقرة: ١٩٧].

سؤال: أشهر الحج ما هي؟

(١) المرجع «لسان العرب» (٢/٢٦٦).

أشهر الحج ثلاثة، وهي أشهر الإحرام: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة. أشهر الحج وهي أشهر الإحرام. وفرق بين أشهر الإحرام وأشهر الحرم.

سؤال: أشهر الحرم ما هي؟

الطالبة: رجب، وذو القعدة^(١)، وذو الحجة، ومحرم.

هي ثلاث متتاليات كما جاء في الحديث حتى يسهل حفظها، روى البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، «لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعُ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ «إِلَّا اللَّهُ» مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا

(١) هي بفتح القاف وكسرها، لكن الفتح أشهر، يعني: كلاهما وارد في اللغة (الْقَعْدَةُ، و الْقَعْدَةُ)، لكن (الْقَعْدَةُ) بفتح القاف أفصح.

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٦٨/١١): أَمَا ذُو الْقَعْدَةِ فَيَفْتَحُ الْقَافَ، وَذُو الْحِجَّةِ يَكْسِرُ الْحَاءَ هَذِهِ اللَّغَةُ الْمَشْهُورَةُ، وَيَجُوزُ فِي لُغَةٍ قَلِيلَةٍ كَسْرُ الْقَافِ وَفَتْحُ الْحَاءِ.

كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

الإمام النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر أركان الإسلام جملة ثم شرع في ذكرها مفصلة بالأدلة؛ لأن العلم قال الله، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذا من مميزات هذا الإمام الحرص على ذكر الأدلة، فكتابه «التوحيد» وكتابه «ثلاثة الأصول» مليئان بالأدلة، يذكر الشيء ثم يذكر الدليل، وهذا هو العلم النافع.

(فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]) هذا هو الدليل على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

وهذه الآية فيها شهادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَفْسِهِ بالتوحيد وأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له.

وفيها فضل الملائكة وأهل العلم، فقد استشهد الله عَزَّجَلَّ بهم على توحيده.

قال: (وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ) هذا معنى (لا إله إلا الله).

(بِحَقِّ) أخرج المعبودات الباطلة.

قال: «(لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعُ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ «إِلَّا اللَّهُ» مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ» وهذه أركان (لا إله إلا الله): نفي، وإثبات. (لا إله) نفي لجميع ما يعبد من دون الله. (إلا الله) إثبات العبودية لله **عَزَّوَجَلَّ** وحده لا شريك له.

قال: (كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ) وهذا كثيرًا ما يذكره الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه، فكما أنه لا شريك له في ملكه وخلقه وتديره فكذلك لا شريك له في عبادته.

قال: (وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا) أي: تفسير (لا إله إلا الله).

سؤال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، ما اسم أبي إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؟

الطالبة تحيب: آزر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤)﴾ [الأنعام: ٧٤]. الذين يقولون: آزر عم نبينا إبراهيم. كيف يقال: عمه والآية نص في أنه أبوه؟! فلا يلتفت إلى هذا القول.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: خلقتني.

﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ أي: يرشدني ويوفقني.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ وهي كلمة التوحيد، وكما قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا

إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَكْبَتِ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

﴿فِي عَقِيهِ﴾ أي: ذريته.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إلى التوحيد والإنابة والتوبة.

وقوله: (وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤])

من هم أهل الكتاب؟

الطالبة: اليهود والنصارى.

قوله: ﴿أَرْبَابًا﴾ جمع رب، أي: لا نُتَزَّلُ أَحَدًا مِّنَّا مِنْزِلَةَ الرَّبِّ، فيُصْرَفُ لَهُ عِبَادَةٌ أَوْ يَتَّبَعُ فِي التَّشْرِيعِ - وهو: التحليل والتحريم -، كما قال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١].

﴿مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من غير الله.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: فإن أعرضوا.

﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: مستسلمون منقادون لله عزَّ وجلَّ.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]) هذه الآية دليل أن نبينا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُرسله الله إلى هذه الأمة.

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: من جنسكم. وفي قراءة ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ أي: أشرفكم.
﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه ما يشق عليكم. العنت: المشقة،
قال تَعَالَى ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٥].

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على هدايتكم ومنفعتكم.
﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وفي هذه الآية جاء تخصيص رحمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالمؤمنين، فهذه رحمة خاصة، وفي قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] رحمة عامة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رحمة حتى بالكفار، رحيم بهم يدعوهم إلى الجنة والمغفرة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يَعْبُدَ اللَّهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ) هذا معنى شهادة أن محمداً رَسُولُ اللَّهِ، عبارة جامعة تحفظ.

يستلزم من شهادة أن محمداً رسول الله طاعة النبي ﷺ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، ولا يُعْظَمُ أحداً النبي ﷺ إلا باتباعه (١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]) هذه الآية دليل على التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أمر شرعي ديني.

﴿حُنَفَاءَ﴾ جمع حنيف، تقدم تعرف الحنيف فمن هو؟

الحنيف: هو المقبل على الله المعرض عما سواه (٢).

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ أي: الثلاثة الخصال: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ وإقام

الصلاة وإيتاء الزكاة. القيمة، أي: الملة المستقيمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣])

[البقرة: ١٨٣]

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح المجيد» (٢٢٧): إنما يحصل تعظيم الرسول ﷺ بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه ونُصِرَته، وموالاته من عمل به، ومعاداة من خالفه.

(٢) قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «عدة الصابرين» (١١٨).

الكتابة نوعان: كتابة شرعية دينية، كما في هذه الآية.

وكتابة كونية قدرية، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ

عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

وفيه فضل الصيام؛ لأن الله عَزَّجَلَّ شرعه لهذه الأمة وللأمة المتقدمة، وهذا يدل

على فضله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ

إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧])

هذه الآية نزلت في السنة التاسعة، وهي دليل من قال: لم يفرض الحج إلا في السنة

التاسعة.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [٩٧] هذا إذا كان

جاحداً لركن الحج، فإنه يكفر ويكون خارجاً من هذه الملة، نسأل الله العافية.

أما إذا لم يكن جاحداً ولكنه متساهل، فإنه مفرط وآثم إذا كان قادراً على الحج،

ولكنه لا يخرج من الملة، الذي يخرج من الملة الجاحد لركن الحج، يقول: أنا أنكر أن

الله عَزَّجَلَّ فرض الحج على المستطيع في عمره مرة واحدة. ينكر هذا مع العلم بأن الله

عَزَّجَلَّ قد فرض، هذا يكون خارجاً من الملة، نسأل الله العافية.

نكون انتهينا حفظكن الله ولله الحمد، وأخذنا أركان الإسلام بأدلتها.



أَسْئَلَةُ الدَّرْسِ الثَّاسِعِ:

١. ما هي مراتب الدين؟
٢. ما تعريف الإسلام، وإلى كم ينقسم، وما هي أركانه؟
٣. تعريف الصلاة لغة واصطلاحاً؟
٤. ما فائدة تقييد الصلاة بالإقامة؟
٥. تعريف الزكاة لغة واصطلاحاً؟
٦. اذكر الآية التي في بيان مصارف الزكاة؟
٧. تعريف الصيام لغة واصطلاحاً؟
٨. تعريف الحج لغة واصطلاحاً؟
٩. ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ ما هو القسط؟
١٠. ما هي أركان لا إله إلا الله؟
١١. ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ ما هي الكلمة؟
١٢. من هم أهل الكتاب؟
١٣. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ما معنى ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، وما معنى ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؟
١٤. ما معنى شَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟
١٥. ما تعريف الحنيف؟
١٦. الذي لا يستطيع أن يحج لأنه ما عنده مال هل نقول: يجب عليك أن تحج؟ وما الدليل؟

١٧. الذي يحدد وجوب الحج هل يكفر ويخرج من الملة؟



الدرس العاشر

الدرس (١٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿الْمُرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: الْإِيمَانُ: وَهُوَ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً: فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ. وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].
وَدَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].



قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْمُرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ) أي: من مراتب الدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْإِيمَانُ: وَهُوَ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً: فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)

هذه الجمل هي في حديث أبي هريرة متفق عليه^(١).

الإيمان لغة: التصديق، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم يعقوب **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**:

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

واصطلاحًا: نطق باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، ويزيد

بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقوله: **(وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً: فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ**

الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)

البِضْعُ فِي الْعَدَدِ بِالْكَسْرِ، وَقَدْ يُفْتَحُ، مَا يَبْنِي الثَّلَاثَ إِلَى التَّسْعِ.

وَقِيلَ: مَا يَبْنِي الْوَاحِدَ إِلَى الْعَشْرَةِ؛ لِأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَدَدِ^(٢).

(شُعْبَةٌ) بِالضَّمِّ أَيُّ: قِطْعَةٌ، وَالْمُرَادُ الْخُصْلَةُ أَوْ الْجُزْءُ^(٣).

ولا يدل الحديث على حصر الإيمان في هذه الشعب^(٤).

(١) روى البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

ولفظه عند مسلم: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً»، ولفظ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ-أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ-شُعْبَةً».

(٢) «النهاية» (١/١٣٤).

(٣) «فتح الباري» (١/٥٢) لابن حجر.

(٤) قال الحافظ ابن رجب في «فتح الباري» (١/٣٤): فإن قيل: فأهل الحديث والسنة عندهم أن كل طاعة فهي داخله في الإيمان، سواء كانت من أعمال الجوارح أو القلوب أو من الأقوال، وسواء في ذلك الفرائض والنوافل، هذا قول الجمهور الأعظم منهم، وحيث لا ينحصر في بضع وسبعين، بل يزيد على ذلك زيادة كثيرة، بل هي غير منحصرة.

قيل: يمكن أن يجاب عن هذا بأجوبة:

(فَاعْلَاهَا) أي: أفضلها، فأعلى الأعمال الصالحة كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)،

كلمة لا يثقل معها شيء^(١).

(وَأَدْنَاهَا) أي: أدنى شعب الإيمان، أدنى أي: أقل.

(إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ) وهذا يدل على فضل إمطة الأذى عن الطريق، وأنه

من الإيمان، وهو من الصدقات، كما في حديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَغْدِلُ

بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ،

أحدها: أن يقال: إن عد خصال الإيمان عند قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان منحصرًا في هذا العدد، ثم حدثت زيادة فيه بعد ذلك حتى كملت خصال الإيمان في آخر حياة النبي صلي الله عليه وسلم.

والثاني: أن تكون خصال الإيمان كلها تنحصر في بضع وسبعين نوعًا، وإن كان أفراد كل نوع تتعدد كثيرًا، وربما كان بعضها لا ينحصر، وهذا أشبه. وإن كان الموقوف على ذلك يعسر أو يتعذر.

والثالث: أن ذكر السبعين على وجه التكرير للعدد، لا على وجه الحصر كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ

اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، والمراد تكثر التعداد من غير حصر له في هذا العدد، ويكون ذكره للبضع يشعر بذلك كأنه يقول: هو يزيد على السبعين المقتضية لتكرير العدد وتضعيفه. وهذا ذكره أهل الحديث من المتقدمين، وفيه نظر.

والرابع: أن هذه البضع وسبعين هي أشرف خصال الإيمان وأعلاها وهو الذي تدعو إليه الحاجة منها.

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ

الْحَقَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي

الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ،

فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: اخْضُرْ وَزَنْتَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ

هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: «فَتَوَضَّعُ السَّجَلَاتُ فِي كَفِّهِ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفِّهِ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ

مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» رواه الترمذي (٢٦٣٩). وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٧٨٧) لوالدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩)، فما أكثر طرق الخير! وعن أبي ذرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُبَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ» رواه مسلم (٥٥٣).

استفدنا: الحث على إزالة الأذى عن الطرقات: حجر، شوك، زجاج، أوساخ، والأشياء التي تسبب الزلق كقشر الموز، وسواء كان هذا في طريق المشاة أو في طريق السيارات.

كما نستفيد: ابتعاد المسلم عن أذى الناس في طرقاتهم، يعني: لا يرمي بشيء في الطريق يؤذيهم، وإذا وجد أذى من غيره أزاله.

فدين الإسلام دين محاسن وفضائل، ودين حقوق، هذا من حق المسلم على أخيه المسلم: أن يميّط الأذى عن الطريق، فما أجمل محاسن هذا الإسلام الدين الحنيف! **(وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)** تقدم معنى شعبة؟ قطعة.

سؤال: ومن هو شعبة المحدث؟

شعبة: ابن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث.

حقيقة الحياء: خلق يبعث على فعل الجميل وترك القبيح (١).

(١) قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٥٠٢/١): الْحَيَاءُ الْمُنْدُوحُ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ الْخُلُقُ الَّذِي يَحْتُ عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ، وَتَرْكِ الْقَبِيحِ.

ومن هنا نعلم أن ليس من الحياء: أن يترك الإنسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقول: أنا أستحي، والذي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: هذه بلاهة، بالصحيح أنها بلاهة. كما في «مراجعة تدريب الراوي». ومعنى بلاهة: أي: ضعف في العقل.

أو يترك النصيحة والتعليم والوعظ؛ للحياء، هذا ليس من الحياء شرعاً، هذا ضعف وخور. ضعف في القلب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) (وَأَرْكَانُهُ) أركان الإيمان.

(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ) والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور: الإيمان بوجود الله، وبربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

الإيمان بوجود الله: أن الله عَزَّجَلَّ موجود.

وبربوبيته: هذا هو توحيد الربوبية، توحيد الربوبية: هو توحيد الله في أفعاله.

وألوهيته: هذا هو توحيد الألوهية، وهو أفراد الله بالعبادة.

(وَمَلَائِكَتِهِ) هذا الركن الثاني من أركان الإيمان.

الملائكة: عالم غيبي خلقوا من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور، وقد ذكرها الشيخ ابن عثيمين في «شرح

ثلاثة الأصول» (٨٨)، وقال:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه كجبريل، ومن لم نعلم اسمه نؤمن

بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل.

أي: أنه كان له ستائة جناح.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه،

والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور. اهـ.

﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨].

أيش معنى ﴿لَا يَسْأَمُونَ﴾؟

الطالبة تجيب: لا يملون.

هذه أربعة أمور، وهي أيضاً سهلة إن شاء الله.

(وَكُتِبَ) وهي الكتب التي أنزلها الله عز وجل على رسوله، وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين

رحمة الله في «شرح ثلاثة الأصول» (٩٢): أن الإيمان بالكتب يتضمن بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم،

والتوراة التي أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم، والإنجيل الذي أنزل على عيسى

صلى الله عليه وسلم، والزبور الذي أوتيته داود صلى الله عليه وسلم، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف

من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمته

أم لم نفهمها. اهـ.

(وَرُسُلِهِ) جمع رسول.

الرسول لغة: من بُعث برسالة.

واصطلاحاً: من بعثه الله بشريعة يدعو الناس إليها، سواء كانت جديدة-أي:

مستقلة-أو متقدمة^(١).

(١) اشتهر عند العلماء في تعريف النبي والرسول:

أن النبي من أوحى إليه ولم يؤمر بتبليغه.

والرسول: من أوحى إليه وأمر بتبليغه.

يعني: لا يقال للنبي: بلِّغ ما أنزل إليك. وهذا قول الجمهور، وهو غير صحيح.

وقد سألت والدي الشيخ مقبل رحمة الله عن هذا فأنكره، وقال: كيف لا يؤمر النبي بالتبليغ، وأحاذ الناس مأمورون بالتبليغ؟!

ويرده قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ» رواه مسلم.

فهل فيه فرق بين النبي والرسول؟

وههنا ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمة الله أربعة أمور فممكّن تستفاد إن شاء الله يتضمن الإيمان بالرسول.

(وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) هو يوم القيامة، سمي بذلك لأنه لا يوم بعده.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر ما يكون فيه من الأشياء والأحوال والعظائم، وما يكون في القبر من سؤال الملكين، ونعيم القبر وعذابه، فإن القبر أول منازل الآخرة. كما روى الترمذي (٢٣٠٨) عن هانئ، مولى عثمان قال: كَانَ عُثْمَانُ، إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي حَتَّى يَبْلُغَ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ».

فهنا هذا حفظكن الله أنه يدخل في اليوم الآخر ما يكون في القبر، وكما قيل: من مات فقد قامت عليه قيامته، يعتبر القبر القيامة الصغرى.

(وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) هذا الركن السادس من أركان الإيمان.

الجواب: فيه فرق بين النبي والرسول، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢﴾ [الحج: ٥٢]. لكن ما هو الفرق؟ فيه خلاف.

ومن الأقوال فيه مع القول السابق:

النبي: مَنْ بُعِثَ لتقرير شريعة سابقة.

والرسول: مَنْ بَعِثَهُ اللهُ بشريعة يدعو الناس إليها، سواء كانت جديدة-أي: مستقلة-أو متقدمة.

أي: الرسول بعثه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم الناس، سواء بشريعة تابعة لنبي قبله أو لا.

والقدر: هو تقدير الله الكائنات إلى قيام الساعة.

وله أربع مراتب جُمعت في بيت:

علم كتابة مولانا مشيئته ❀ وخلق وهو إيجاد وتكوين

(وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا
وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وَدَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

﴿الْبِرَّ﴾ البر: اسم جامع لكل خير.

﴿الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ جاء بلفظ الإفراد: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل]، وجاء بلفظ التثنية: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ
الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن]، وجاء بلفظ الجمع: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا
لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠].

والجمع بين هذه الآيات:

أن الإفراد باعتبار الجهة، الأفق. فهي تشرق من المشرق، وتغرب من المغرب.
والتثنية باعتبار وقتين: الصيف والشتاء.

والجمع باعتبار اختلاف المطالع، فهي تتجدد باعتبار طلوعها وغروبها كل

يوم^(١).

(١) وهذه بعض أقوال العلم في الجمع بين هذه الآيات، قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤٥٥/٧): ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن)، يعني: مَشْرِقِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ وَمَغْرِبِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ.

وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، وَذَلِكَ بِاخْتِلَافِ مَطَالِعِ الشَّمْسِ وَتَنَقُّلِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَبُرُوزِهَا مِنْهُ إِلَى النَّاسِ.

وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [الزمر: ٩]، وَهَذَا الْمُرَادُ مِنْهُ جِنْسُ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ.

وقال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (١٢١/١): ومن هذا المعنى مجيء المشرق والمغرب في القرآن تارة مجموعين وتارة مثنيين وتارة مفردين؛ لاختصاص كل محل بما يقتضيه من ذلك، فالأول كقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾، والثاني كقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (٣) فَإِنِّي ءِالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨)، والثالث كقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (١).

فتأمل هذه الحكمة البالغة في تغاير هذه المواضع في الإفراد والجمع والتثنية بحسب موادها يطلعك على عظمة القرآن الكريم وجلالته، وأنه تنزيل من حكيم حميد.

فحيث جمعت كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة، وهي متعددة.

وحيث أفردت كان المراد أفقي المشرق والمغرب.

وحيث ثنيا كان المراد مشرقى صعودها وهبوطها ومغربيها، فإنها تبتدئ صاعدة حتى تنتهي إلى غاية أوجها وارتفاعها، فهذا مشرق صعودها، وينشأ منه فصلاً الخريف والشتاء: فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقاً واحداً، ومشرق هبوطها بجملته مشرقاً واحداً ويقابلها مغربها، فهذا وجه اختلاف هذه في الإفراد والتثنية والجمع.

وقال ابن عثيمين في تفسير سورة الرحمن (٣٠٦): ثنى المشرق هنا باعتبار مشرق الشتاء ومشرق الصيف، فالشمس في الشتاء تشرق من أقصى الجنوب، وفي الصيف بالعكس، والقمر في الشهر الواحد يشرق من أقصى الجنوب ومن أقصى الشمال، وفي آية أخرى قال الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ فجمعها، وفي آية ثالثة ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (١).

فما الجمع بينها؟

نقول: أما التثنية فباعتبار مشرقى الشتاء والصيف.

هذا فيه شبهة للذين يطعنون في هذا الدين يقولون: قرآنكم غير منضبط فيه خلاف، وقد ذكر هذا الإشكال الشنقيطي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب»، فبعض الآيات ظاهرها فيها شبهة لأعداء الإسلام، الذين يطعنون في هذا القرآن الحكيم.

ومثلاً: مما كان يذكر لنا والدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في شأن يونس **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات].

قالوا: قرآنكم فيه نسبة الشك إلى الله، وجزموا وقالوا: «أو» هي للشك. ولكن أهل العلم قد بينوا أن «أو» بمعنى: «الواو»، أي: ويزيدون على مائة ألف. أو أن «أو» بمعنى: «بل» التي هي للإضراب، أي: بل يزيدون، ووالدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** ذكر هذا وأجاب عن الآية بأن «أو» بمعنى: بل. وبعد المراجعة رأيتهم ذكروا شيئين: أنها بمعنى «بل»، ويجوز أن تكون بمعنى «الواو». (وَدَلِيلُ الْقَدَرِ) لأنه ما ذكر في الآية التي قبلها.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ولا شبهة في هذه الآية للمعتزلة في القول بخلق القرآن، هم قالوا: «كل» لفظ من ألفاظ العموم، واستدلوا بها

أما جمع المغارب والمشارق فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه؛ لأن الشمس كل يوم تشرق من غير المكان الذي أشرقت منه بالأمس، فالشمس يتغير شروقها وغروبها كل يوم، ولا سيما عند تساوي الليل والنهار، فتجد الفرق دقيقة، أو دقيقة ونصفاً بين غروبها بالأمس واليوم، وكذلك الغروب، أو باعتبار الشارقات والغاربات؛ لأنها تشمل الشمس والقمر والنجوم، وهذه لا يحصيها إلا الله **عَزَّ وَجَلَّ**، أما قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ فباعتبار الناحية، لأن النواحي أربع: مشرق، ومغرب، وشمال، وجنوب. وقال الشيخ ابن عثيمين في «فتاوى نور على الدرب» عن الأفراد: يراد به الجنس، وما أريد به الجنس فإنه لا ينافي التعدد.

على أن القرآن مخلوق، وهذا ليس بصحيح. وقد مر معنا في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ

الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أن القرآن داخل في الأمر.

فهذه شبهة من شبه المعتزلة، اعرفن حفظكن الله بعض شبههم خاصة المشتهرة،

والرد عليهم، حتى ما تعلق شبهة في النفس، نسأل الله العافية.

ودليل أيضًا هذه الأركان حديث جبريل.

هذا درسنا، وبعده المرتبة الثالثة في الجلسة الآتية إن شاء الله تعالى.



أسئلة الدرس العاشر:

١. تعريف الايمان لغة واصطلاحاً؟
٢. الإِيْمَانُ: وَهُوَ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، ما معنى شعبة، وما هو البضع؟
٣. اذكر اركان الإيمان؟
٤. الايمان بالله يتضمن أربعة أشياء، فما هي؟
٥. من هم الملائكة؟
٦. الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور، فما هي؟
٧. اذكر دليلاً من القرآن على فضل الحياء؟
٨. ما هو الحياء؟
٩. اذكر ما تعرفين من أسماء الكتب المنزلة؟
١٠. الإيمان بالكتب يتضمن بأربعة أمور فما هي؟
١١. تعريف النبي والرسول على المشهور؟
١٢. متى تقوم الساعة؟
١٣. لماذا سمي اليوم الآخر بذلك؟
١٤. هل القبر داخل في الإيمان باليوم الآخر مع الدليل؟
١٥. ماذا يدخل في الايمان باليوم الآخر؟
١٦. ما تعريف القدر، وما هي مراتب القدر؟
١٧. ما هو البر؟



الدرس الحادي عشر

الدرس (١١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ: الْإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الزمر: ٢١٧] الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٧١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ حَدِيثُ جَبْرَائِيلَ الْمَشْهُورِ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، فَقَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ:

فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمُسْتَوَلُّ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ». ﷺ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ) أي: من مراتب الدين، مراتب الدين ثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان، هذه مراتب الدين.

وأعلى مراتب الدين: الإحسان، وبعد الإحسان الإيمان، والإسلام. الإسلام في المرتبة الأخيرة فيما يتعلق بأعلى مراتب الدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) هذا تعريف الإحسان شرعاً، فسره رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والإحسان لغة: الإتيان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَأَنَّكَ تَرَاهُ) أي: تشاهده.

(فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) إذا كنت لا تراه فالله سبحانه يراك.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨])

يعني: الدليل على الإحسان.

معية الله عز وجل على قسمين: معية عامة، ومعية خاصة.

المعية العامة: أي أن الله معنا بسمعه وبصره وعلمه وقدرته، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]. وقال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

المعية العامة يستوي فيها جميع الخلق.

ومعية خاصة: وهي تقتضي النصرة والحفظ والتأييد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقال تعالى لنبيه موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

فاستفدنا حفظكن الله أن معية الله عز وجل على قسمين: معية عامة، ومعية خاصة.

وهذا من مسائل العقيدة فيحفظ ويفهم إن شاء الله.

(وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [٢١٧] الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ [٢١٨] وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ [٢١٩] إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٢٢٠]) [الشعراء]

سبق لنا تعريف التوكل؟

الطالبة تجيب: صدق الاعتماد على الله مع جلب المنافع وترك المضار^(١).

(١) ونص ما تقدم: التوكل لغة: إظهار العجز والاعتماد على غيرك. «لسان العرب» (١١/٧٣٦).

﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢١٩﴾﴾ أي: أن الله سبحانه

يراه على أي حال، ويراه حين يقوم إلى الصلاة راکعاً، ساجداً.

(وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ

عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٧١])

الشأن: الخطب والأمر، يقال: ما شأنك؟ أي: ما خطبك؟

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الإفاضة: الدخول في العمل.

وهذه الأدلة فيها:

أن الله سبحانه مطلع على عباده وأعمالهم.

ونستفيد: الحث على مراقبة الله عز وجل.

المراقبة: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه^(١).

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا خشيته في الغيب والشهادة.

وهناك من يراقب الله بين الناس، في العلانية يكون مستقيماً، وإذا خلا عصي ربه،

وذنوب الخلوات خطيرة، فذنوب الخلوات بداية الانحرافات، فعلينا أن نراقب الله

أكثر إذا انفردنا عن أعين الناس ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ

والتوكل اصطلاحاً: قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/٤٩٧): هو صدق اعتقاد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكللة الأمور كلها إليه.

وينحوه قال السعدي في «تفسيره» (٩٤٤)، ونصه: قوة اعتماد القلب على الله في جلب المصالح، ودفع المضار الدينية والدنيوية، مع الثقة به في حصول ذلك.

(١) قاله ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٢/٨٦).

اللَّهُ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٧٨﴾ [النساء: ١٠٨].

ومما يعين على مراقبة الله سبحانه:

أن يعلم الإنسان أن الله مطلع عليه بسمعه وبصره وعلمه، فهذا يعينه على حفظ
جوارحه، وصيانة قلبه، ومراقبة ربه سبحانه.

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٤٠٨): مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ حَيْثُ
كَانَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَاسْتَحْضَرَ ذَلِكَ فِي خَلَوَاتِهِ،
أَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ تَرْكَ الْمُعَاصِي فِي السِّرِّ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى الْإِشَارَةُ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ:
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:
١].

الذكر: قال ابن القيم في «الوابل الصيب» (٤٢): الذكر يورثه المراقبة، حتى يدخله
في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان،
كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

(وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ حَدِيثُ جِبْرَائِيلَ الْمَشْهُورِ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ
جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ،
شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ)

(الشَّعْرُ) بفتح العين وسكونها: الشعر، الشَّعْرُ.

إعراب «ذات يوم»: «ذات» ظرف زمان، وهو مضاف، و«يوم» مضاف إليه.

(شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ) في هذا عدة فوائد تتعلق بالعلم وآدابه، منها:

- النظافة والتجمل عند الذهاب إلى مجالس العلم، وليس المراد من التجمل ما عليه بعض النساء كأنها تذهب إلى عرس، لكن تجمل ونظافة من غير مبالغة.

أما التجمل الزائد والزينة المبالغ فيها حتى في سائر الأوقات، فإن لها سلبيات: منها: ضياع الوقت.

ومنها: انتعاش المرأة فلا تكون مُتَزَنَةً في تصرفاتها.

ومنها: خفة العقل.

ومنها: احتقار الغير.

هذه نتيجة الزينة المبالغ فيها.

أما النظافة المعتدلة فإن ديننا يُحَثُّ على ذلك، وهي تجلب السرور، كما قال بعض الحكماء: من نظف ثوبه قلَّ همُّه، ومن طاب ريحه زاد عقله ^(١).

- وفيه لباس الأبيض من الثياب، وهذا يحتاجه الرجل، أما المرأة فتخرج بجلبابها الساتر.

- وفيه أن الطالب يجلس أمام معلمه؛ لأن جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جاء وجلس أمام

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: **(لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ**

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ) قد جاءت رواية أنه

(١) ذكره ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (١٠٥).

وضعها على ركبتي النبي ﷺ كما عند النسائي^(١)، وهذه الرواية تفصل النزاع في المسألة؛ لأنهم قد اختلفوا هل وضع كفيه على فخذه هو أم على فخذي النبي ﷺ؟

(وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحْجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، فَقَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ)

تعجبوا لأن الذي يسأل يكون جاهلاً، ولكن لأن السائل في الحقيقة جبريل عليه الصلاة والسلام، الذي ينزل بالوحي على النبي ﷺ.

فنستفيد منه: أنه لا بأس أن يسأل عن الشيء الذي يعلمه؛ ليستفيد الحاضرون. فجبريل عليه السلام يسأل؛ ليستفيد الحاضرون، وقد روى مسلم (١٠) عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلُونِي»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ.. الحديث، وفي آخره فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعْلَمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا».

(١) روى النسائي (٤٩٩١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي ذَرٍّ، قَالَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِهِ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَذَرِي أَيْتُهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، فَبَيْنَمَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ، كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَإِنَّا جُلُوسٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَجْلِسِهِ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَطْيَبُ النَّاسِ رِيحًا، كَأَنَّ ثِيَابَهُ لَمْ يَمَسَّهَا دَسٌّ، حَتَّى سَلَّمَ فِي طَرَفِ الْبَسَاطِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: أَذْنُو يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: «أَذْنُهُ» فَمَا زَالَ يَقُولُ: أَذْنُو مَرَارًا، وَيَقُولُ لَهُ: «أَذْنُ» حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.. الحديث.

قال العلامة الألباني رحمه الله في «إرواء الغليل» (١ ص ٣٣): سنده صحيح.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»)

وهذه تقدمت معنا أركان الإسلام وأركان الإيمان والإحسان.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمُسْتَوَلُّ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»)

-فيه أنه لا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله.

-وفيه السكوت عن الإجابة فيما لا يعلمه، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا)

أي: علاماتها.

(قَالَ: «أَنْ تِلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا»)

أي: سيدتها، وهذا فيه أقوال، منها: أن البنت تشتري جارية-أمة-، ولا تعلم أنها

أمها، فتكون الأم خادمة لسيدتها التي هي البنت، هذه من الأقوال التي ذكرت.

وهذا من علامات الساعة تؤمن بهذا وبجميع أشرط الساعة.

(وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُيُوتِ)

يعني: فقراء، حفاة ليس عندهم نعل، عراة لا كساء لهم، ثم يصيرون أصحاب

أموال وعمائر، هذا من علامات الساعة.

(قَالَ: فَمَضَى) أي: مضى جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(فَلَبِثْنَا مَلِيًّا) الزمن الطويل، ﴿وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]، ويقال: مضى مَلِيٌّ من النهار، أي: ساعة طويلة^(١).

(فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»)

قوله: (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) فيه أن الصحابة كانوا يقولون: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ» بإضافة الرسول، وهذا في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما بعد وفاته فيقتصر على «اللَّهُ أَعْلَمُ»، حتى ولو كان في الأمور الدينية، روى البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس الحديث، وفيه أنه يقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ». والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حي في قبره حياة برزخية الله أعلم بكيفيتها، وهذا مضمون ما استفدنا من والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة.

واستفدنا: أهمية معرفة أركان الإسلام والإيمان والإحسان، وأن هذا هو ديننا «أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»، فهذه المسائل هي أصول ديننا، فينبغي أن نحفظها، ونفهمها، ونحرص على نشرها، ونحرص على تعليم أبنائنا هذه الأركان العظيمة. نكون انتهينا ولله الحمد من الأصل الثاني: وهو معرفة دين الإسلام، يليه الأصل الثالث في الدرس القادم إن شاء الله تعالى، والحمد لله.



(١) ينظر «الصحيح» (٢٤٩٧/٦) للجوهري.

أسئلة الدرس الحادي عشر:

١. ما هي مراتب الدين؟
٢. أعلى مراتب الدين؟
٣. ما هو ركنُ الإحسان؟
٤. إلى كم تنقسم معية الله سبحانه؟
٥. اذكر تعريف التوكل لغة واصطلاحاً؟
٦. «حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ» هَلْ وَضَعَ جَبْرِيلُ عَلَى فَخْذَيْ نَفْسِهِ أَوْ عَلَى فَخْذِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟
٧. ما تعريف مُراقبة الله؟
٨. اذكر شيئين يعينان على مراقبة الله سبحانه وتعالى؟
٩. اذكر فوائد من قصة جبريل حين أتى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله عن أركان الإسلام والإيمان والإحسان؟
١٠. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ مَا مَعْنَى ﴿أَشْرَاطُهَا﴾؟
١١. ما المراد بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا»؟
١٢. ما معنى «خُفَاءً، عَرَاةً»؟
١٣. ما حكم قول: (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) في وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟



الدرس الثاني عشر

الدرس (١٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْأَصْلُ الثَّالِثُ:

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً. مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا. نَبِيٌّ بِ﴿أَقْرَأ﴾ [العلق: ١]، وَأُرْسِلَ بِالْمَدَنِيِّ، وَبَلَدُهُ مَكَّةَ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشُّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الْمَدَنِيُّ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝﴾ [المدثر].

وَمَعْنَى ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ ۝﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشُّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝﴾، أَي: عَظَمَهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾، أَي: طَهَّرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشُّرْكِ.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾، الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجَرُهَا تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. ﷺ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأصل الثالث) من ثلاثة الأصول: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ): من قوله: (وَهُوَ) بيان وتفصيل لكيفية معرفة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ) هذا جزء من نسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ) روى الإمام مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

«اصْطَفَى» أي: اختار، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ

النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]. أي: يختار.

(١) قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في «صحيحه» في ترجمة حديث (٣٨٥١) (بَابُ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ حُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيْلَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ. وإلى عدنان متفق عليه بين النسابين، وما فوق ذلك مختلف فيه.

فهذا الحديث دليل على أن بني هاشم من قريش «واضطفى من قريش بني

هاشم».

وهنا قاعدة في الأنساب: كل هاشمي قرشي، وليس كل قرشي هاشمياً.

فمن كان هاشمياً فهو قرشي، وأما القرشي فقد يكون هاشمياً، وقد يكون غير

هاشمي.

قوله **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ)** من أصول العرب، من كنانة من ولد إسماعيل

بن إبراهيم خليل الله، كما سبق في حديث واثلة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وقريش: هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة^(١).

وقيل: هو النضر بن كنانة-أي: جد فهر بن مالك-ابن خزيمة بن مدركة بن

إلياس بن مضر^(٢).

(١) وهذا اختاره أبو عمر ابن عبد البر أنه فهر بن مالك، واحتج بأنه ليس أحد اليوم ممن يتنسب إلى قريش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك، ثم حكى اختيار هذا القول عن الزبير بن بكار ومضعب الزبيري وعلي بن كيسان. قال: وإليهم المرجع في هذا الشأن.

وقد قال الزبير بن بكار: وقد أجمع نساب قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت من فهر بن مالك، والذي عليه من أدركت من نساب قريش أن ولد فهر بن مالك قريش، وأن من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من قريش، ثم نصر هذا القول نصراً عزيزاً، وتحمى له بأنه ونحوه أعلم بأنساب قومهم وأحفظ لما أثرهم. كذا في «البداية والنهاية» (٢/٢٠٠).

وهو قول أكثر أهل النسب. كما في «الفصول في سيرة الرسول».

(٢) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٢٠٠): قال أبو عبيد وابن عبد البر: والذي عليه الأكثر أن النضر بن كنانة؛ لحديث الأشعث بن قيس. وسيأتي هذا الحديث.

قال ابن كثير: وهو الذي نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وهو جادة مذهب الشافعي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ودليل هذا القول:

قوله **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ)** ظاهر عبارة الإمام النجدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** أن العرب كلهم العدنانية والقحطانية من ذرية إسماعيل بن إبراهيم.

ولم يختلفوا أن العدنانية من ذرية نبي الله إسماعيل، قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الإنباه على قبائل الرواة» (١٧): لا خلاف بين جماعة أهل العلم بالنسب وأيام العرب أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإنما اختلفوا في قحطان.

وأما القحطانية- وهم الذين يتسبون إلى قحطان- فعلى قولين:

عن كليب بن وائل، قال: حَدَّثَنِي رِبِيعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: قُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَانَ مِنْ مُضَرَ؟ قَالَتْ: فَمِمَّنْ كَانَ إِلَّا مِنْ مُضَرَ، مِنْ بَنِي النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ. رواه البخاري (٣٤٩١).

عن الأشعث بن قيس، قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدٍ لَا يَرُونَ أَنِّي أَفْضَلُهُمْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَزَعُمُ أَنْكُم مِّنَّا قَالَ: «نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، لَا نَقْفُوا أَمَّنَّا، وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَيْبِنَا».

فَكَانَ الْأَشْعَثُ يَقُولُ: لَا أُوْتِي بِرَجُلٍ نَفَى قُرَيْشًا مِنَ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ إِلَّا جَلَدْتُهُ الْحَدَّ. رواه أحمد (١٦٠/٣٦)، وابن ماجه (٢٦١٢)، وفيه مسلم بن هيصم العبدي: مقبول.

وله شاهد، وقد ذكر الحديث الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٧٥).

وعلق ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** في «البداية والنهاية» على هذا الحديث (٢/٢٠١) بقوله: هذا الحديث هو فيصل قوي في هذه المسألة، فلا التفات إلى قول من خالفه.

وقوله: «لا نقفوا أَمَّنَّا» قال ابن الأثير في «النهاية»: أَي لَا نَتَّهِمُهَا وَلَا نَقْدِفُهَا. يُقَالُ: قَفَا فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا قَدَفَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا نَتْرُكُ النَّسَبَ إِلَى الْأَبَاءِ وَنَتَّسِبُ إِلَى الْأُمَّهَاتِ.

وقوله: جلد الحد. أي: حد القذف.

وينظر «الإنباه على قبائل الرواة» (٤٢).

وقد استفدنا قولين في: هل قريش فهر أم النضر بن كنانة؟

أحدهما: أن القحطانية ليسوا من ذرية إسماعيل، وهذا قول جمهور أهل الأنساب. وذهب إليه ابن حزم في «جمهرة الأنساب» (٧).

ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الرد على المنطقيين» (٤٥٦)، وقال: وأما قحطان فقال بعضهم: هم أيضا من ولد إسماعيل.

قال: والصحيح أنهم كانوا موجودين قبل إبراهيم بأرض اليمن، ومنهم جُزهم الذين سكنوا مكة. ومنهم تعلم إسماعيل العربية.

والقول الثاني: أنهم من ذرية إسماعيل.

وتبويب البخاري يفيد ترجيح هذا القول الثاني، حيث جزم بنسبة اليمن إلى إسماعيل، وقبائل اليمن قحطانيون^(١).

سؤال: هل جُلُّ قبائل اليمن قحطانية أو عدنانية؟

الجواب: قبائل اليمن قحطانيون.

(١) قال البخاري: بابُ نِسْبَةِ الْيَمَنِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ، ثم أخرج **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٣٥٠٧) عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَسْلَمَ يَتَنَاضِلُونَ بِالسُّوقِ، فَقَالَ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ، فَأَمْسَكُوا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: «مَا هُمْ» قَالُوا: وَكَيْفَ تَرْمِي وَأَنْتَ مَعَ بَنِي فُلَانٍ؟ قَالَ: «ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلُّكُمْ».

أي: وَأَسْلَمَ مِنْ خُزَاعَةَ، وَخُزَاعَةُ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ. كما في «مجموع الفتاوى» (١٦/١٩١) لشيخ الإسلام.

قال ابن عبد البر في «الإنباء على قبائل الرواة» (٦٨): يشهد لقول من جعل قحطان وسائر العرب من ولد إسماعيل عليه السلام قول رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لقوم من أسلم والأنصار: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً».

وهذا هو الذي رجحه الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ** في «فتح الباري» (٦/٥٣٧) أن القحطانية من ذرية إسماعيل. وهذا كلامه:

وَرَعِمَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أَنَّ قَحْطَانَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ، وَأَنَّهُ قَحْطَانُ بْنُ الْهَمَيْسَعِ بْنِ تَيْمٍ بْنِ نَبْتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمُتَقَدِّمِ فِي قِصَّةِ هَاجَرَ حَيْثُ قَالَ وَهُوَ يُخَاطَبُ الْأَنْصَارَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ.

ثم قال الحافظ **رَحْمَةُ اللَّهِ**: هَذَا هُوَ الَّذِي يَرْجَحُ فِي نَفْذِي...

قال السمعاني في «الأنساب» (٣٤٤/١٠): قحطان هو الذي انتسب جميع الأنصار إليه واليمن كلها.

وقال أبو الحسن ابن الأثير في «اللباب في تهذيب الأنساب» (١٦): وهو -أي: قحطان- أصل جميع عرب اليمن إليه يتسبون^(١).

الطالبة: يعني أي واحد قحطاني من ذرية إسماعيل؟

الجواب: كل العرب إما عدناني أو قحطاني.

قال ابن عبد البر في «الإنباه على قبائل الرواة» (٣٠): وَلَا يَخْلُو أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَى أَحَدِهِمَا، وَلَا بُدَّ أَنْ يُقَالَ: عدناني أو قحطاني. اهـ المراد.

أما هل قحطان من ذرية إسماعيل؟ هذا يختلف فيه كما تقدم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْخَلِيلُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ)

الخليل لقب لنبي الله إبراهيم، والخلة أرفع من المحبة، كما قال الشاعر:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي ❀ وَلِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

هذا من الأبيات المشهورة التي يذكرها الشراح في بيان معنى الخلة، فإذا حفظته

سيمر معك في كتب أخرى، ويكون قد صار من محفوظاتك إن شاء الله تعالى.

(١) وقال ابن حزم في «جمهرة الأنساب» (٣٢٩): اليمانية كلها راجعة إلى ولد قحطان.

وفي «لسان العرب» (٥٨٧/١): وَهُوَ أَبُو الْيَمَنِ كُلُّهُمْ.

وقال الحافظ في «فتح الباري» (٥٣٧/٦): وَأَمَّا الْيَمَنُ فَجَمَاعُ نَسَبِهِمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى قَحْطَانَ.

وقال الحافظ في «فتح الباري» (٥٤٥/٦): وَإِلَى قَحْطَانَ تَنْتَسِبُ أَنْسَابُ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ حِمِيرٍ وَكِنْدَةَ وَهَمْدَانَ وَغَيْرِهِمْ.

وقد سردت هذه النقولات؛ لأنني سمعت بعض المتناقشين من المبتدئين اليمانيين يقول بعضهم: نحن من عدنان.

الطالبة تضيف: قوله عز وجل: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا

الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

ولم يتخذ الله عز وجل من خلقه خليلاً سوى نبيين: نبينا محمد، وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» رواه مسلم (٥٣٢).

قوله رحمه الله: (وَلَهُ مِنَ الْعُمَرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً) توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمره ثلاث وستون سنة، روى الإمام مسلم (٢٣٤٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَعُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ».

وللفائدة: أيضاً علي بن أبي طالب توفي عن ثلاث وستين، وعائشة بنت أبي بكر الصديق توفيت عن ثلاث وستين رضي الله عنهما وأرضاهم.

قوله رحمه الله: (مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النَّبِيِّ) أي: نبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن أربعين.

قوله رحمه الله: (وَتِلْكَ أَعْدَادُ رُسُلِهِ) هذه مدة نبوة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثلاث وعشرون عاماً.

وبقي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة ثلاثاً وخمسين عاماً.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (نُبِّئَ بِ﴿أَقْرَأْ﴾ [العلق: ١] وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ) وبهذا يجمع بين الأدلة، ففي حديث عائشة في بدء الوحي كما روى البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي»، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي»، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي»، فَقَالَ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ②﴾ ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③﴾ [العلق: ١-٣]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ يَرْجِفُ فُؤَادَهُ.. الحديث بطوله.

«فَغَطَّنِي» أي: ضمه.

«مَا أَنَا بِقَارِيٍّ» أي: لست أحسن القراءة.

نزلت الخمس الآيات الأولى من سورة العلق، وهذا التعبير أدق من أن يقال: أول ما نزل من القرآن سورة العلق؛ لأنها لم تنزل السورة بكاملها.

وثبت من حديث جابر بن عبد الله أنه نزل جبريل بسورة المدثر، يعني: الآيات الأولى منها. روى البخاري (٤)، ومسلم (١٦١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ،

قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرَعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ۖ قُرْ فَاذْذَرِ ۝۲﴾ [المدر: ٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝۵﴾ [المدر: ٥]. فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ.

ففي ظاهر هذين الدليلين التعارض، والجمع بينهما:

أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيٌّ بِسُورَةِ اقْرَأْ - وَالْمَرَادُ: كَمَا سَبَقَ الْخَمْسَ الْآيَاتِ الْأُولَى -، وَأُرْسِلَ بِأَوَّلِ الْمَدْر.

وَقَدْ اعْتَنَى أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْأَدْلَةِ الَّتِي ظَاهَرَهَا التَّعَارُضُ، وَبُوبَ لِذَلِكَ أَهْلُ الْمِصْطَلَحِ: بِأَبْ مَخْتَلَفِ الْحَدِيثِ؛ وَذَلِكَ لِأَهْمِيَّتِهِ، وَأَلْفَ فِيهِ ابْنُ قَتِيْبَةٍ وَغَيْرِهِ.

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَبَلَدُهُ مَكَّةَ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝۱۳﴾ [محمد: ١٣].

﴿أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ﴾ أَي: مَكَّةَ، كَمَا فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ.

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ) الْبَلَدَةِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ.

وَقَدْ كَانَ الطَّفِيلُ بْنُ عَمْرٍو الدُّوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ عَرَضَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْزِلَ فِي حَصْنٍ لِدُوسٍ، فَامْتَنَعَ وَلَمْ يَقْبَلْ هَذَا الطَّلَبَ، وَادْخَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَلِكَ، وَاخْتَصَّ

المدينة وأهلها بهذه الكرامة وهذا الفضل، فنزل النبي ﷺ عند الأنصار في المدينة^(١).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (بَعَثَهُ اللهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشُّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝﴾ [المدثر] وَمَعْنَى ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ ۝﴾ (٢)، يُنْذِرُ عَنِ الشُّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝﴾ (٣)، أَي: عَظَمَهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ (٤)، أَي: طَهَّرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشُّرْكِ.)

هذا معنى ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ ۝﴾ (٢)، يُنْذِرُ عَنِ الشُّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ينذر عن غضب الله، ينذر عن النار ﴿فَأَنْذِرْتَكُمْ نَارًا تَلْظَى ۝﴾ [الليل: ١٤].
«أي» حرف تفسير.

ومعنى ﴿فَكَبِّرْ ۝﴾ (٣)، أَي: عَظَمَهُ بِالتَّوْحِيدِ، فمن لم يوحد الله عَزَّجَلَّ لم يعظمه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۝﴾ [الزمر: ٦٧]. ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝﴾ [نوح: ١٣-١٤].

(١) عَنْ جَابِرٍ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ -قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ -فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوُوا الْمَدِينَةَ، فَمَرَضَ، فَجَزَعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخِبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَأَهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَأَهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةً، وَرَأَهُ مُعْطِيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهَجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُعْطِيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ وَلِيْدَيْهِ فَاعْفِرْ» رواه مسلم (١١٦).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أي: طَهَّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشُّرْكِ والآية أعم تشمل: تطهير الأعمال من الشرك، وتطهير الأخلاق من الأخلاق السيئة، وطهارة القلب-، حتى إن كثيراً من المفسرين قالوا: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ طهارة القلب-، ويشمل أيضاً الطهارة من النجاسة الحسية.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾، الرُّجْزُ: الأصنام، وَهَجَرُهَا تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا)

هذا تفسير الرجز، ﴿فَاهْجُرْ﴾ أي: اترك عبادتها، وتبرأ إلى الله منها ومن أهلها، وتقدم هذا معنا في تعريف الإسلام: والبراءة من الشرك وأهله.

فما هو الإسلام؟

الطالبة تجيب: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

هذه معاني هذه الآيات الكريمات.

والعلم يترابط في درسنا هذه الليلة ما بين التفسير والتوحيد والسيرة والآداب، فالعلم يترابط، وهذا من يسر العلم، فالعلم لترابطه يتكرر، تقرئين في التفسير وتمربك مسائل في الفقه، قد مرت معك ربما في الصباح أو قبل يوم أو يومين أو أسبوع، فترسخ في الذهن بفضل الله عَزَّوَجَلَّ، فسبحان الله القائل: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾، والقائل سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧].

قَالَ مَطَرُ بْنُ طَهْمَانَ الْوَرَّاقُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧]، قَالَ: هَلْ مِنْ طَالِبٍ عِلْمٍ فَيَعَانِ عَلَيْهِ ^(١).

وقوله سُبحَانَهُ: ﴿وَلَا تَمَنَّ تَمَنُّ تَسْتَكْبِرُ ۝٦﴾ نذكر تفسيرها؛ لأن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ اقتصر على تفسير خمس آيات.

فقوله سُبحَانَهُ: ﴿وَلَا تَمَنَّ تَمَنُّ تَسْتَكْبِرُ ۝٦﴾ أي: لا تعطِ عطاءً وتطلب أكثر مما أعطيت، يعني: إذا أهدى هدية لشخص يعطي لوجه الله، لا يعطي؛ لأجل المكافأة بأكثر ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٩].

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ أي: لحكم ربك الشرعي والقدري فاصبر، وفي هذا تنبيه لمن يصبر أن يكون صبره لله، ويحتسب الأجر من الله؛ لأنه قد يصبر ولا يحتسب. قوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ﴾ أي: استمر على هذا يدعو إلى التوحيد.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بمكة كان تركيز دعوته على التوحيد ثلاثة عشر عامًا، وقد يدعو إلى غير التوحيد من شرائع الإسلام، كما قال أبو سفيان لما سأله هرقل: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَخَدُّهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ. رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) رواه البخاري معلقاً (١٥٩/٩)، ووصله ألفريابي في «تفسيره» كما في «تغليق التعليق» (٣٧٩/٥) للحافظ ابن حجر، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ص ٣٣٢٠)، والأثر ثابت.

قوله **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)** أي: في السنة الحادي عشرة.

وهذا يفيد تحديد العام عند المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ** الذي أسري فيه بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** إلى

بيت المقدس، وعرج به إلى السماء.

وهذا التحديد مختلف فيه بين أهل السير، فعلى هذا القول يكون الإسراء والمعراج

قبل الهجرة بثلاث سنين، ومنهم من قال: بسنة ونصف، إلى غير ذلك.

ولا نعلم في أي شهر عُرِجَ بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، أما ما اشتهر بين الناس أنه عرج

به على سبعة وعشرين في شهر رجب، فهذا ليس عليه دليل صحيح^(١).

قوله **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ)** يعني: فرضت الصلوات الخمس

ليلة المعراج كذا في «الصحيحين»^(٢).

(١) قال شيخ الإسلام فيما نقله عنه تلميذه ابن القيم في «زاد المعاد» (٥٨/١): وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ مَعْلُومٌ لَا عَلَى شَهْرِهَا وَلَا عَلَى عَشْرِهَا وَلَا عَلَى عَيْنِهَا، بَلِ النَّقُولُ فِي ذَلِكَ مُنْقَطِعَةٌ مُخْتَلِفَةٌ لَيْسَ فِيهَا مَا يُقْطَعُ بِهِ، وَلَا شَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ تَخْصِيصُ اللَّيْلَةِ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّهَا لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ بِقِيَامٍ وَلَا غَيْرِهِ.

(٢) روى البخاري (٣٨٨٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ: الْحَدِيثُ وَفِيهِ: «ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَى الصَّلَوَاتِ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلُّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِنَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلُّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلُّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».

قال ابن رجب في «فتح الباري» (٣٠٦/٢): لكن الصلوات الخمس لم تفرض قبل الإسراء بغير خلاف. اهـ.

فالصلوات الخمس فرضت بمكة، فلما هاجر النبي ﷺ أتمت الرباعية؛ لأنها أول ما فرضت ركعتين، كما روى البخاري (٣٩٣٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى»^(١).

فهذه مسألة: متى فرضت الصلوات الخمس؟

فرضت ليلة المعراج، لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء. وليس معناه أنهم ما كانوا يصلون قبل ذلك، وأن الصلاة غير واجبة، فالصلاة كانت واجبة كما سبق في حديث أبي سفيان «وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَقَافِ وَالصَّلَاةِ». كانوا يصلون، والذي عندنا في ليلة المعراج شرعت الصلوات الخمس، والله أعلم.

ويدل لمشروعيتها حديث ابن مسعود في صلاة النبي ﷺ عند الكعبة، وذلك قبل أن يهاجر^(٢).

(١) ورواه البخاري (٣٩٣٥)، ومسلم (٦٨٥) عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ بلفظ: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُفْرِتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ».

(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي، أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جُزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاهَا فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يُمَهِّلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَاتَّبَعَتْ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَكَبَتِ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقًا إِلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ جُورِيَّةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَكَبَتِ النَّبِيُّ ﷺ

قوله **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ)** الحادي عشرة والثاني عشرة والثالث عشرة، أي: صلى الصلوات الخمس، وهذا على قول بعضهم كما تقدم أن الإسراء كان قبل الهجرة بثلاث سنين، فعلى هذا يكون النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** صلى بمكة الصلوات الخمس ثلاث سنين.

قوله **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَبَعْدَهَا أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ)** أي: بعد ثلاثة عشر عامًا من البعثة. كما روى البخاري (٣٩٠٣)، ومسلم (٢٣٥١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. فكم مكث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في مكة بعد نبوته؟ ثلاثة عشر عامًا.



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبِيحُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الصَّلَاةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ! عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ! عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ! عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ»، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ! عَلَيْكَ بِعَمْرٍو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعِمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَاللَّهِ! لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَخَ يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سَجَّوْا إِلَى الْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: وَأُنْبِغَ أَصْحَابُ الْقَلْبِ لَعْنَةً.

رواه البخاري (٥٢٠)، ومسلم (١٧٩٤).

وعدم ردهم على فاطمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** بشيء يدل على عظمتها في نفوس كبار قريش وأشرافهم، ولكن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -لأنهم استخفوا بالصلاة- دعا عليهم، فقال: «اللَّهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثلاث مرات. وهم كانوا يستعظمون الدعاء عند الكعبة، ثم عمَّ وخص النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعضهم بالدعاء، وقد قُتلوا كلهم في غزوة بدر، كل الذين خصهم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالدعاء عليهم قُتلوا في غزوة بدر.

أسئلة الدرس الثاني عشر:

١. ما هو الأصل الثالث؟
٢. اذكر ما تيسر من نسب النبي ﷺ؟
٣. اذكر حديث واثلة بن الأسقع ومن رواه؟
٤. العرب يرجع نسبها إلى أي نبي؟ وإلى كم ينقسم نسب العرب؟
٥. هل قحطان من ذرية إسماعيل؟
٦. إلى من تنسب قبائل اليمن إلى قحطان أو عدنان؟
٧. لم يتخذ الله عز وجل من خلقه خليلاً سوى نبيين، فمن هما مع الدليل؟ وما هي الخلعة؟
٨. كم كان عمر النبي ﷺ عند أن توفي، مع الدليل؟
٩. كم كان عمر النبي ﷺ عند أن صار نبياً؟ وكم كانت مدة النبوة؟
١٠. كيف الجمع بين حديث أن أول ما نزل من القرآن أوائل سورة العلق وحديث أن أول ما نزل أوائل سورة المدثر؟
١١. ما هي بلد النبي ﷺ، وما هي البلدة التي هاجر إليها؟
١٢. ما معنى قوله تعالى: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾؟
١٣. ما المقصود بالطهارة في قوله تعالى: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾؟
١٤. متى عُرج بالنبي ﷺ؟
١٥. متى فرضت الصلوات الخمس؟
١٦. كم مكث النبي ﷺ في مكة بعد نبوته؟

الدرس الثالث عشر

الدرس (١٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَالْهَجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ.

وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ.

وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا

كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ

وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً

وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ [النساء: ٩٨ -

٩٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ

﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ

يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعُ

التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

(١) أخرجه أحمد (١١١/٢٨) عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والراوي عن معاوية أبو هِنْدِ الْبَجَلِيُّ، وهو مجهول عين.

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَذَانِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوفِّيَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ.
وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ.
وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ.
بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وله طريق أخرى ظاهرها الحسن عند أحمد (١٦٧١) عَنِ ابْنِ السَّعْدِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتَلُ».

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْهِجْرَةَ خَصْلَتَانِ: إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالْأُخْرَى أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ...».

وابن السعدي: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّعْدِيِّ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ. صحابي.

وله شاهد:

عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْهِجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَنَا يَقُولُونَ: إِنَّ الْهِجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الْجِهَادُ» رواه أحمد (١٤٢/٢٧).

وذكره والدي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٣٤٧١).

وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].
وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ [الزمر].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالهِجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشَّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ)

هذا تعريف الهجرة شرعاً.

والهجرة لغة: الترك.

والهجرة على ثلاثة أقسام: هجرة البلد، وهجرة العمل، وهجرة العامل.

هجرة العمل: من الكفر والبدع والفسوق والعصيان، يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» رواه

البخاري (١٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهذه هي الهجرة الحقيقية، هذه أكمل أقسام الهجرة، وما شرعت الهجرة من بلاد

الكفر إلى بلاد الإسلام، إلا ليعينوا أنفسهم على تقوى الله واجتناب ما نهى الله.

وهجرة العامل، وهذا يشمل هجر الكافر والمبتدع، يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَحَذَرُوهُمْ» رواه

البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

«سَمَّى اللَّهَ» أي: وصف الله في قوله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال أبو قلابة رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم. رواه الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في «الشرعة» (١١٤).

وهناك هجر العاصي، وهذا إذا كان في هجره مصلحة، مسلم عاصي إذا كان هجره يردعه وينفعه فيرجع إلى الله فهنا يشرع هجره، أما إذا كان لا يتنفع بالهجر، وقد يزيده تمردًا ونفورًا فهنا لا يشرع هجره.

فمثلاً: من يتساهل في صيام رمضان يترك بعض الأيام عمدًا تساهلاً لا جحودًا، أو في سماع الأغاني، أو يتشبه بالكفار في لباسه، ينظر المصلحة في هجره، إذا كان لا يبالي فلا يهجر؛ لعدم الفائدة، أو يزيده الهجر شرًا وسوءًا وبلاءً أيضًا لا يهجر؛ لأن المقصود مصلحته.

إذا قال الأب: أولادي يجالسون الضائعين فأريد أن أهجرهم، هل ينصح بهجرهم أم لا؟

على التفصيل السابق: إذا كانوا ينتفعون بالهجر ويرجعون عن مجالسة الضائعين فيشرع، بل يجب على الأب أن يهجرهم؛ لأنه مسؤول عنهم أمام الله، فأبناؤه تحت

رعايته، وأما إذا خشي أن يزيدهم الهجر سوءاً، وقد يذهبون إلى ما هو أشد، يذهبون إلى شيوعين مثلاً، محاربين لله ولرسوله، هنا لا يشرع الهجر^(١).

وبقي حالة من خشي أن يتأثر بالعاصي، فهذا يهجر.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٢٧/٦): أجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه، أو يؤلّد به على نفسه مضرّة في دينه أو دنياه، فإن كان ذلك فقد رخص له في مجانبته وبُعده، ورُبَّ صرْمٍ جميلٍ خيرٌ من مُحالطةٍ مؤذية، قال الشاعر:

إِذَا مَا تَقَضَّى الْوُدُّ إِلَّا تَكَاشَرَا ❀ فَهَجَرُ جَمِيلٍ لِلْفَرِيقَيْنِ صَالِحُ

ومسألة الهجر بابها مضيق، النبي ﷺ ما هجر إلا أناساً، يُعدّون على الأصابع، يعني: فلا يتوسع فيه.

ويجب الحذر من أن يكون هذا الهجر لغرض شخصي أو دنيوي؛ لأن هذا ليس لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قد يقول: أهجره لله، وهجره لذلك ليس لله، إنما لشيء في نفسه، لغرض

(١) وهذا معنى ما استفدناه من والذي **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

وإليكم أيضاً كلام الشيخ ابن عثيمين في «لقاء الباب المفتوح»: هجر العاصي إن كان فيه مصلحة بحيث يرجع العاصي عن معصيته فليهجر.

وأما إذا لم يكن فيه مصلحة فهجره حرام؛ لأن العاصي مسلم ولو فعل ما فعل من الكبائر، إلا الكفر إذا كفر هذا معلوم.

وقد قال النبي ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان ويعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»، فلا تهجره، ولأن بعض العصاة إذا هجرته زاد في معصيته، وكرهك أيضاً، ولم يقبل منك أي نصيحة.

أما لو كان هجره ينفع، كما لو كان أحد الأبناء أو أحد الإخوة وهو يقدّرَكَ وإذا هجرته ارتدع، فهنا أهجره حتى يرتدع، فإن أخلف الظن -بمعنى: أنك هجرته ولكنه لم يرتدع- فعد وسلم عليه ولا تنس النصيحة.

شخصي أو دنيوي، فيجب الحذر لا يقول: أهجره لله، وهو في الحقيقة إنما هجره لأجل نفسه، الهجر للحفظ النفسية والدنيوية لا يجوز أن يزيد على ثلاثة أيام، كما قال النبي ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» رواه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

ما معنى «وَحَيْرُهُمَا»؟

الطالبة تجيب: يعني: أفضلهما.

وقوله: (وَالْهَجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ)

ضابط بلاد الكفر:

استفدنا من والدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الضابط في هذا: أن بلاد الكفر هي التي أغلب مَنْ

فيها كفار (١).

قوله رَحِمَهُمُ اللَّهُ: (وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ)

(فَرِيضَةٌ) أي: واجبة، الفرض مرادف للواجب، والدليل هذه الآيات التي في

سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ والآيات، وقوله تَعَالَى:

(١) وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُمُ اللَّهُ في «شرح ثلاثة الأصول» (١٢٩): وبلد الشرك هو الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام، كالأذان والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه عام شامل، وإنما قلنا على وجه عام شامل؛ ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور، كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة، فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام.

أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل.

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦) وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» رواه الترمذي (١٦٠٤) عن جرير بن عبد الله (١).

وهذا إذا كان في بلاد الكفر لا يستطيع أن يقيم فيها دين الله، ولا أن يظهر فيها شعائر الله، فيجب عليه الهجرة إذا كان قادراً عليها (٢).

أما إذا كان آمناً على دينه، ويقدر على إقامة دين الله وإظهار شعائر الله، كالأذان وصيام رمضان والصلوات في المساجد والجمع والأعياد فهذا لا يجب عليه الهجرة؛ لقوله تعالى: ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

وهنا أمر كان يذكره الوالد رَحِمَهُ اللهُ - وفيه الرفق والرحمة والنصح -، يقول: الذي يخرج من بلد الكفر ينوي الفرار بدينه ولا ينوي الهجرة في هذه الأزمنة؛ لأنهم ربما

(١) وفي معناه: عن خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى أَنَاسٍ مِنْ خَتَمٍ، فَاعْتَصَمُوا بِالسُّجُودِ، فَقَتَلَهُمْ، فَوَدَّاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنِصْفِ الدِّيَةِ، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مَعَ مُشْرِكٍ، لَا تَرَأَى نَارَهُمَا». رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٢٣٣)، وذكره والدي في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٣٤٧٠) تحت ترجمة: كراهية المقام بين أظهر المشركين.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة النساء رقم الآية (٩٧): نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَامَّةً فِي كُلِّ مَنْ أَقَامَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْهَجْرَةِ، وَلَيْسَ مُتَمَكِّنًا مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ، فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ.

وَبِنَصِّ هَذِهِ الْآيَةِ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغُلَامَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: بِتَرْكِ الْهَجْرَةِ ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: لِمَ مَكَثْتُمْ هَاهُنَا وَتَرَكْتُمْ الْهَجْرَةَ؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لَا نَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْبَلَدِ، وَلَا الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ فَتَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [٥٧].

وقال الشيخ ابن عثيمين في «شرح ثلاثة الأصول» (١٣٠): الهجرة واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر، فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

يردونه من المطار إلى بلده؛ بسبب هذه المعاملات والإجراءات، فيردونه إلى البلاد التي هاجر منها.

الله المستعان في هذه الأزمنة قد لا يجد المهاجر بلدًا يأوي إليها، ويأمن على دينه وأهله فيها، ويثقلونه بالإقامات وما يُسمى بالرسوم؛ فلهذا كانت نصيحة والدي **رَحْمَةُ اللَّهِ** ما تقدم ذكره.

وهذا بخلاف المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة؛ فإنهم كانوا مُكْرَمِينَ وكانهم في بلدهم وأحسن، حتى إن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** آخَى بين المهاجرين والأنصار^(١)، واستقبلهم الأنصار بكل حفاوة، قال الله تَعَالَى في وصف الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: ٩].

والهجرة شأنها شديد؛ لأنها مفارقة الأهل والأولاد والوطن والمال. روى البخاري (١٤٥٢)، ومسلم (١٨٦٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ، إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ

(١) قال الحافظ ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** في «الفصول في سيرة الرسول»: وآخى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بين المهاجرين والأنصار، فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام إِرْثًا مقدّمًا على القرابة، وفرض الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إِذْ ذَاكَ الزكاة؛ رفقًا بفقراء المهاجرين. اهـ.
واستمرت المؤاخاة إلى غزاة بدر قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في «زاد المعاد» (٥٦/٣) .. آخَى بَيْنَهُمْ عَلَى الْمُؤَاَسَاةِ، يَتَوَارَثُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ دُونَ دَوِي الْأَرْحَامِ إِلَى حِينٍ وَقَعَةِ بَدْرٍ. قال ابن الجوزي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كشف المشكل (٢٢٠/١) ولم يكن بعد غزاة بدر مؤاخاة، لِأَنَّ الْغَنَائِمَ وَقَعَتْ بِالْفِتَالِ، فَاسْتَغْنَى الْمُهَاجِرُونَ بِمَا كَسَبُوا.

تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتْرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا».

فاستفدنا متى تكون الهجرة واجبة؟

إذا لم يستطع أن يقيم في تلك البلد دين الله، ولا أن يظهر شعائر الله، ولديه قدرة على الخروج، فعليه أن يخرج من تلك البلد.

مثلاً: المرأة إذا كانت ملزمة أن تخرج كاشفة متبرجة، هل يلزمها أن تخرج، من

تجيب؟

الطالبة تجيب: يلزمها أن تخرج إذا كانت قادرة؛ لأنها لا تستطيع أن تظهر شعائر

الله.

طيب، نعم وإذا لم تكن قادرة فلا يجب عليها الخروج، ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ١٨ ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ ١٩.

ونستفيد من أدلة وجوب الهجرة: أن الذي لا يهاجر مع القدرة مرتكب لكبيرة،

وليس معنى هذه الأدلة التي فيها الوعيد أنه يخرج من الملة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ) والدليل هذه الأدلة التي عندنا في

استدلال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، فالهجرة باقية إلى أن تقوم الساعة، الهجرة لا تنقطع ما بقي

الجهاد.

أما قول رسول الله ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» رواه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، فهذا لأن مكة صارت بلد إسلام.

الطالبة تسأل: إذا مثلاً: صارت الدولة مسلمة ينفك الهجرة؟

تقصدين الحديث: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ».

الطالبة: مثلاً مكة كانت...

مسلم هاجر من بلده؛ لأنها كانت بلد كفر، ثم صارت بلد إسلام، المهاجر لا يلج له أن يرجع إلى بلده ويبقى فيها، حتى ولو صارت بلد إسلام إلا ثلاثة أيام- وهذا من مشقة الهجرة- كما في «صحيح مسلم» (١٣٥٢) عن العلاء بن الحضرمي، يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لِلْمُهَاجِرِ إِقَامَةٌ ثَلَاثَ بَعْدَ الصَّدْرِ بِمَكَّةَ»، كَأَنَّهُ يَقُولُ لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا (١).

وهل هناك استثناءات من هذا الحديث لبقاء المهاجر في البلد التي هاجر منها؟

هناك بعض الأشياء كضرورة علاج ونحو ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَذَانِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ)

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح هذا الحديث من «صحيح مسلم»: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ قَبْلَ الْفَتْحِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُرِّمَ عَلَيْهِمْ اسْتِيطَانُ مَكَّةَ وَالْإِقَامَةُ بِهَا، ثُمَّ أُبِيحَ لَهُمْ إِذَا وَصَلُوهَا بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ غَيْرِهَا أَنْ يَقِيمُوا بَعْدَ فَرَاحِهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَا يَزِيدُوا عَلَى الثَّلَاثَةِ.

هذه الأشياء ذكرها رَحِمَهُ اللهُ في شرائع الإسلام التي فرضت في المدينة.

(الزَّكَاةُ) فيها قولان لأهل العلم:

أحدهما: أنها فرضت في المدينة.

الثاني: أنها فرضت في مكة، قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ الَّذِينَ لَا يُوْتُونَ

الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۖ﴾ [فصلت: ٦-٧]. وهذه الآية مكية، قالوا:

ولكن أنصباؤها وتفصيل الكلام عليها شرع في المدينة، وبهذا يجمع بين الأدلة، فالآية في (سورة فصلت) تدل على أن الزكاة فرضت في مكة.

(وَالصَّوْمُ) فرض في المدينة السنة الثانية من الهجرة، فتوفي النبي ﷺ

وقد صام تسع رمضان.

(وَالْحَجُّ) فرض بالمدينة، وفي تحديد السنة خلاف، فمنهم من قال: فرض في السنة

السادسة بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ومنهم من قال:

فرض في السنة التاسعة، وهذا قول جمهور أهل العلم، ومنهم من قال: في التاسعة أو العاشرة، القول الأخير فيه تردد.

(وَالْجِهَادُ) فرض في السنة الثانية من الهجرة.

(وَالْأَذَانُ) فرض في السنة الأولى، وقيل: في السنة الثانية.

والنبي ﷺ لما قدم المدينة لم يكن هناك أذان، فكانوا يتحنيون الصلاة

فيخرجون، روى البخاري (٦٠٤)، ومسلم (٣٧٧) عن ابن عمر قال: كَانَ الْمُسْلِمُونَ

حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّيُونَ الصَّلَاةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ،

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوْقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوْ لَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا بِلَالُ، قُمْ فَتَادِ بِالصَّلَاةِ».

(أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ) هذه المدة التي بقيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة:

عشر سنين.

والدليل عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه البخاري (٣٨٥١).

(وَبَعْدَهَا تُوُفِّيَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ) وقد ذكر الدليل على وفاة النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤخرا فقال: (وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٦﴾ [الزمر]) وهذه على طريقة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر المسألة ويذكر الدليل، وهذا هو العلم النافع.

العلم قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ ❀ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أُولُو الْعُرْفَانِ

ووفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وقد

أصيب الصحابة بِمُصِيبَةٍ لَا أَشَدَّ مِنْهَا.

روى البخاري (٣٦٦٧) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، - قَالَ: إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي: بِالْعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ:

وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا

ذَٰكَ، وَلَيَبْعَثُهُ اللَّهُ، فليَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طُبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُدِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ، قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتْهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي، خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعُ لَنَا مِنْ أَمِيرٍ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا، وَلَكِنَّا الْأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايَعُوا عُمَرَ، أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ تُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ..

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتَيْهَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ، وَإِنَّ فِيهِمْ لِنِفَاقًا فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الْهُدَى، وَعَرَّفَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَخَرَجُوا بِهِ، يَتْلُونَ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إِلَى ﴿الشَّكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وهذا من ثبات أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أحب الخلق إليه، لكن هذا من ثباته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقوة صبره.

وفي رواية للبخاري (٤٤٥٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿الشَّكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعَ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا».

وهذا يفيد أن المصيبة لها دهشة وتأثير على القلب، حتى إنه قد ينسى الدليل والعلم، لكن إذا كان هناك جليس صالح فإنه يُذَكَّرُ، فيتذكر من تذكر، ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝﴾ [الأعلى].

وروى الدارمي (٨٩)، عَنْ أَنَسٍ وَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «شَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ، كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ، وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». والحديث في «الصحيح المسند» (١٢٢) للوالد الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

رضي الله عن الصحابة، وصلى الله على نبينا محمد وَسَلَّم، فلم يُصب الصحابة بمصيبة أعظم من مصيبة موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم يحبونه أكثر من أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم، روى البخاري (٦٦٣٢) من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآنَ يَا عُمَرُ».

رضي الله عن الصحابة كيف وقوفهم مع الدليل واستسلامهم للدليل، وهنيئاً لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وفي أي يوم توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين، وولد يوم الاثنين، وأنزل عليه الوحي يوم الاثنين، وهاجر يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، فهذه خمسة أشياء وقعت يوم الاثنين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ)

هذا الدين باقٍ إلى أن تقوم الساعة؛ لأن الله عزَّ وجلَّ تكفل بحفظه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ)

روى مسلم (١٨٤٤) عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

«إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ» الحديث.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنصح الخلق للخلق.

(وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ) هذا تفسير الخير.

(بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)

من هم الثقلان؟

الطالبة الصغيرة تحيب: الجن والإنس.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾

[الأعراف: ١٥٨])

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبعوث إلى الناس كافة، وروى البخاري (٣٣٥، ٤٣٨)،

ومسلم (٥٢١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ

يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا،

فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي،

وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً. وأدلة آخر: ﴿لَا تُذَكِّرْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وروى الإمام مسلم (١٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». فرسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامة للثقلين.

(وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وَالِدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ [الزمر].

وهذه من أعظم النعم على هذه الأمة أن الله عَزَّجَلَّ أكمل لها هذا الدين، وهذه الآية نزلت في حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرفة.

روى البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَأُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ.

وهذا يفيدنا أن اليهود يخترعون الأعياد بأهوائهم، ولكن نحن نتبع في أعيادنا الشرع، فليس لنا إلا عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى، وبقية الأعياد جاءت إلى المسلمين من قبل أعداء الإسلام، فالواجب نبذها وبغضها والتحذير منها.



أسئلة الدرس الثالث عشر:

١. ما تعريف الهجرة؟
٢. اذكر أقسام الهجرة؟
٣. الذي لا يهاجر من بلاد الكفر وهو غير مستضعف ولا يستطيع أن يظهر شعائر الله، هل إذا لم يهاجر يكون كافراً خارجاً من الملة؟
٤. متى فرض (الزكاة، الصوم، الحج، الأذان، الجهاد)؟
٥. كم بقي النبي ﷺ في المدينة؟
٦. أشياء وقعت يوم الاثنين فما هي؟
٧. ما هو الحديث الذي يدل على هذه الفقرة: (لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ، وَلَا شَرٌّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ)؟
٨. من هم الثقلان؟
٩. هل من دليل على أن رسالة النبي ﷺ عامة للجن والإنس؟
١٠. لو قال يهودي: الرسول ﷺ مرسل لكنه مرسل إلى العرب وليست إلينا، ما هو الرد عليه؟
١١. ديننا كامل وليس فيه نقص فما الدليل؟
١٢. لو قال قائل كأمثال غلاة الصوفية: النبي ﷺ لم يمت. فبأي شيء نرد عليهم؟



الدرس الرابع عشر (الأخير)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١٤) الأخير

قَالَ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمُجْزِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوْلَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنْ أَوْلَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحِدِهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الطَّاغُوتُ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتَّبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. ﷺ

هذا آخر درس في «ثلاثة الأصول»، وهذا الكتاب نِعَمَ الزاد في علم التوحيد والعقيدة الصحيحة، عقيدة السلف الصالح، و«ثلاثة الأصول» اعتنى به أهل العلم غاية الاعتناء، وجعل الله عزَّجَلَّ له القبول، فما فيه درس من الدروس إلا ويكون من أوائلها «ثلاثة الأصول»، يكون من أوائلها إن لم يكن أولها.

وهذا آخر درس إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب.

وأنا أرى من المشقة إذا أجّلنا الدرس، نحن عندنا يوم الخميس، فنستمر عليه في دروس التوحيد والعقيدة القادمة إن شاء الله^(١)، ونحرص عليه إن شاء الله، فإننا إذا أجّلنا قد تأتينا صوارف، أو ما تطيب النفس؛ لأن الوقت منظم، يمشي بنظام بعون الله وتوفيقه، فعلى كل حال نحرص على هذا اليوم إن شاء الله، وقليل دائم ولا كثير منقطع، نسأل الله عزّ وجلّ البركة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَالنَّاسُ إِذَا مَا تَوَاعَوْا يُعِثُّونَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [١٧] ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح].

وهذا من عقيدتنا الإيـان بالبعث، وهو اليوم الآخر، الركن الخامس من أركان الإيـان، وسيأتي حكم من يكذب بهذا اليوم العظيم.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمُجْزَوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ) هذا أيضًا من عقيدتنا الإيـان بالحساب والجزاء في عرصات يوم القيامة.

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]) وهذا شيء -والله وإن كنا كررنا هذا الكلام- يثلج

(١) الدرس الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى «تطهير الاعتقاد» للصنعاني.

صدر طالبة العلم أن تعرف دليل المسألة، دليل كذا، دليل هذه المسألة كذا؛ لأن العلم قال الله قال رسول الله ﷺ (١).

فالله عز وجل يحاسب عباده يوم الحساب على أعمالهم خيرها وشرها ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

ومن دقق عليه في الحساب يهلك والعياذ بالله، فقد روى البخاري (١٠٣) عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ قالت: فقال: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرُضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ».

«من نوقش» كاستخراج الشوكة بالمنقاش، معناه: من دقق عليه في جميع أعماله يهلك، نسأل الله العافية.

وهذا فيه موعظة للمسلم والمسلمة في الاستعداد لدار الآخرة، وأنه سيرى أعماله، وتظهر له مخبات، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر: ٤٨]. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: أحاط بهم.

(١) ويقول والذي رحمه الله في (ش/الفرج بعد الشدة) بعد أن ذكر بعض الأدلة من القرآن: يا سبحان الله- يا إخواننا- ما أحسن الآيات القرآنية! ما أحسن الآيات القرآنية! ينشر لها صدر المسلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ

أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]) وهي الجنة بل أعم^(١).

وما بعدها فيه وصف المحسنين، وهي من أجل صفاتهم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ

الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾، فمن أعظم صفات المحسنين اجتناب الكبائر، وأما اللمم فهي صغائر الذنوب.

وأول هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَي: أن الله سبحانه خالق

السموات والأرض ومالكها، وذكر بعدها الجزاء للمحسن والمسيء، وهذا دليل على

أن الله سبحانه لم يخلق السموات والأرض عبثاً من غير حكمة، ولا أمر ونهي، وبعث

وحساب وجزاء، وهذا كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا

ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص]. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ

عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَاتَرْجِعُونَ﴾ [١١٥] فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ

الْكَرِيمِ [١١٦] المؤمنون]. أي: تقدس سبحانه أن يخلق شيئاً لغير حكمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ كَذَبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، والدليل قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ

لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٧]

[التغابن: ٧])

(١) قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٨٢١): أي: بالحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، وأكبر ذلك وأجله رضا ربهم، والفوز بنعيم

هذه المسألة في حكم الذي يكذب بالبعث وأنه كافر، ثم ذكر **رَحْمَةُ اللَّهِ** الدليل.

وهذا أحد المواضع التي أمر الله **سُبْحَانَهُ** نبيه محمداً **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يقسم فيها،

فهذا ورد في القرآن في ثلاثة مواضع: في هذا الموضع، وفي قوله **تَعَالَى**: ﴿

وَيَسْتَبِيعُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلٌ إِيَّايَ وَرَبِّي إِنَّهُ وَلِحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس:

٥٣]. والموضع الثالث: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي**

لَتَأْتِيََنَّكُمْ عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا

أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبا: ٣].

سؤال: نجد أدلة كثيرة فيها القسم مثل: ﴿**وَأَطُورٌ** ﴿١﴾ **وَكِتَابٌ مَّسْطُورٌ** ﴿٢﴾،

﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ** ﴿١﴾﴾، ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا** ﴿١﴾﴾، ﴿**وَالضُّحَى** ﴿١﴾ **وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**

﴿٢﴾﴾. ماذا يكون الجواب، هل فيه إشكال مع ما تقدم من الحصر في ثلاثة مواضع؟

الطالبة تحيب: ...

خيراً إن شاء الله، المهم لا تعارض؛ لأن عندنا الثلاثة المواضع **اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أمر

نبيه محمداً **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يقسم، أمر الله نبيه أن يقسم في هذه الثلاثة المواضع، فلا

مانع أن يوجد ألفاظ كثيرة فيها القسم؛ لأنها ما فيها الأمر بالقسم، هذه الأدلة المتكاثرة

في القسم ليس فيها الأمر بالقسم، والله **عَزَّجَلَّ** هو الذي يقسم بها.

أيضاً أمر آخر نذكره للتنبيه عليه: كونه فيه القسم ببعض المخلوقات، هذا خاص

بالله **عَزَّجَلَّ**، يقسم بما شاء من خلقه.

وقوله **سُبْحَانَهُ ﴿٧﴾ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾** أي: البعث يسير على الله، والبدء بالخلق أشد من إعادته - وهو البعث -، قال **سُبْحَانَهُ: ﴿٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ [الروم: ٢٧]**. **﴿٢٧﴾ أَهْوَنُ**. أي: هين عليه، أي: يسير، كما في هذه الآية **﴿٧﴾ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾**.

والله خلق السماوات والأرض وهي أعظم من خلق الناس، قال تعالى: **﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ [غافر: ٥٧]**.

وكل الرسل دعت إلى الإيمان بالبعث، قال **سُبْحَانَهُ: ﴿٨٢﴾ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ [المؤمنون]** أي: الرسل وعدوا قومهم بهذا من قبل، قالوا: فما رأينا شيئاً إن هذا إلا أساطير الأولين، فكل الرسل دعوا إلى الإيمان بالبعث.

وربنا **عَزَّ وَجَلَّ** يبين أن من أحيا الأرض بعد موتها وأخرج منها النباتات، قادر على إخراج الناس من قبورهم أحياء، قال **سُبْحَانَهُ: ﴿٣٩﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَالِمُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [فصلت: ٣٩]**. هكذا الآيات الأولى أيضاً في سورة ق فيها الدلالة على هذا المعنى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِيَتْلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]) (مُبَشِّرِينَ) أي: أرسلهم الله بالبشارة، بالأجر، بالجنة. (وَمُنْذِرِينَ) أرسلهم بالندارة، والتخويف بالنار، والعذاب لمن عصى وكفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

ثم قال سُبْحَانَهُ: ﴿لِيَتْلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ هذه الحكمة من إرسال الرسل ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ لتقوم الحجة؛ ولهذا يُسأل أهل النار وهم في النار عن الحجة هل بلغتهم؟ إذا كان قد بلغتهم الحجة فلا حجة لهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ٨ ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ ٩ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٠ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ١١ ﴿[الملك]، يتحسرون حيث لا تغني الحسرة.

فما الحكمة من إرسال الرسل؟ ﴿لِيَتْلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ لإقامة الحجة وقطع الأعذار والحجج الواهية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَوْهَمُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوْهَمُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣])

أول الرسل نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والدليل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد نبي الله نوح، وفي حديث الشفاعة: «فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَّغْنَا، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟» (١).

(وَأَخْرَجَهُمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والدليل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

(وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحِدِهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦])

كل الأمم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يبعث إليها رسلاً يدعونهم إلى التوحيد واجتناب الشرك، وكما قال تعالى: ﴿وَسَعَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يَعْبدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطَّاغُوتِ والإيمان بالله) ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الطَّاغُوتُ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتَّبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ)

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة.

(حَدِّه) أي: قدره.

(مِنْ مَعْبُودٍ) يدعو من دون الله، يستغيث به، ويعتقد فيه الضر والنفع، يذبح له، هذا طاغوت إذا كان راضياً بذلك.

(أَوْ مَتَّبِعٍ) كالعلماء يتبعونهم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله. وما أحسن قول الإمام مالك: كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! (١).

فلا يجوز أن يتبع أحد على خطئه؛ لأن العالم ليس بمعصوم، العلماء مرجع الناس لكن إذا حصلت زلة ما يتبعون فيها.

(أَوْ مُطَاعٍ) وهذا كالأمراء، إذا أمروا بما يخالف الشرع فإنهم لا يطاعون. هذا تعريف ابن القيم للطاغوت، وقد جمع التعاريف المختلفة في معنى الطاغوت في هذه الكلمات، فيحفظ تعريف الطاغوت.

(وَالطَّوَاعِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ) إبليس أبو الجن. (وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الثلاثة الأصول» (١٥٢): أي: من دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه، فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يجيب. اهـ.

يعني: عبده أو لم يعبدوه، الذي يدعو إلى عبادة نفسه طاغوت سواء عبد أو لم يعبد.

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩٣/٨) ترجمة الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: (وَمَنْ ادَّعى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ) علم الغيب المطلق من ادعاه فهو كافر.

وعلم الغيب على قسمين:

نسبي، الشخص يعرف ما في بيته، والجار لا يعلم ما في بيت جاره. يعلم ما في حقيقته، فهذا غيب نسبي، أنا بالنسبة لي لا أعلم ما في حقيقة أختي تلك، هذا علم غيبي نسبي، وبالنسبة لها تعرف ما الذي في حقيقتها.

وعلم غيب مطلق، هذا لا يعلمه إلا الله سبحانه، قال الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وقال سبحانه: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝﴾ [الجن].

قال: (وَمَنْ حَكَمَ بغير مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ

تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ حَكَمَ بغير مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)

أي: أنه من رؤوس الطواغيت. قال تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝﴾ [المائدة]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝﴾ [المائدة]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ

هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝﴾ [المائدة].

وهل يكفر على الإطلاق إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله؟

إليكم فتوى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ في كتاب «دروس الشيخ عبد العزيز» (رقم الدرس ١٤) كما في الشاملة: من زعم أن القوانين الوضعية، سواء كانت فرنسية، أو إنجليزية، أو إيطالية، أو هولندية، أو أمريكية، أو سوفيتية، أو غير ذلك، من زعم أنه يجوز الحكم بها، ولا بأس بالحكم بها بين الناس، وإن زعم أن الشريعة أفضل؛ فهو كافر ضال بإجماع المسلمين.

فإن قال: إنها مساوية للشريعة فهو أكفر وأكفر.

وإن قال: إنها أفضل من الشريعة وأولى من الشريعة؛ فهو أكفر وأشد ضلالاً.

هذا ينبغي أن يُعلم بإجماع المسلمين:

حكم القوانين الوضعية كفر بالله وضلال إذا اعتقد صاحبها أنها جائزة، أو أنها مساوية للشريعة، أو أنها أفضل من الشريعة، فهو في هذه الأحوال الثلاث كافر ضال مطلقاً.

أما إذا حكم بأي قانون أو لأي إنسان بحكم يخالف شرع الله، وهو يعلم أنه مخالف لشرع الله، ولكن فعل ذلك لهوى، أو لرشوة، أو لأشياء أخرى من المقاصد الخبيثة؛ فهذا يكون ضالاً ويكون ظالماً ظليماً دون ظلم، وكافراً كافراً دون كفر، كما قال ابن عباس، ومجاهد، وطاوس، وغيرهم من الجمهور؛ لأنه لم يعتقد حل تحكيم غير الشريعة.

وإن حكم بغير الشريعة هوى، كما قد يقع لبعض القضاة في المحاكم الإسلامية؛ فقد يضل عن السبيل، وقد يحكم بغير الشريعة؛ هوى، إما لرشوة، وإما لقربة، وإما لعداوة للمحكوم عليه؛ فيحكم عليه بغير الشريعة؛ هوى أو لأسباب أخرى خاصة حكم بأسبابها، وهو يعلم أن حكمه يخالف شرع الله، ولكن حمله عليه هوى وغرض فاسد، فهذا يكون عند أهل العلم ظالماً وعاصياً وفاسقاً، ولكن لا يكون كافراً كفرة أكبر؛ لأنه يعلم أنه عاصٍ، وأن حكم الله بخلاف قوله، وأنه خاطئ في ذلك ظالم فيه، فهو عند الجمهور ليس بكافر كفرة أكبر.

وهذه مسألة عظيمة يجب أن نحكمها جيداً. اهـ.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾**

الله عزَّ وجلَّ يقول: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ﴾** [التوبة: ٥]. والنبى

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ»^(١).

فهذا فيه الإكراه، إكراه الكفار على الدخول في ديننا إما أن تسلم وإما القتل،

والآية هنا **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾**

والجواب عن هذه الآية أنها في أهل الكتاب الذين يدفعون الجزية^(١)، قال تعالى:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ

(١) رواه البخاري (٣٠١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا
الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة: ٢٩].

فهذه الآية في أهل الكتاب الذين يعطون الجزية، إذا أعطوا الجزية يبقوا؛ لأنهم
تحت الذلة وسيطرة المسلمين.

وهذا في حال إذا كان المسلمون عندهم قوة وشوكة، والكفار أذلاء لا قوة لهم،
ولا حول ولا قوة إلا بالله في عصورنا المسلمون مستضعفون، لا حيلة لهم ولا
يستطيعون سيلاً.

(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مَقْلَاتًا فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ يَهُودَهُ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانَ فِيهِمْ مِنْ
أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: لَا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. رواه
أبو داود (٢٦٨٢). والحديث صحيح.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: الْمَقْلَاتُ الْيَتَامَى لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ.

هذا الحديث فيه سبب نزول هذه الآية المذكورة، ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية.

قال ابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (١/١٩٩): هُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ يَهُودَ وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ غَيْرَ يَهُودِيٍّ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في «هداية الحيارى» (٢٣٧): هَذَا نَفْيٌ فِي مَعْنَى النِّهْيِ، أَيُّ: لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى الدِّينِ، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي رِجَالٍ مِنَ
الصَّحَابَةِ كَانَ هُمْ أَوْلَادٌ، قَدْ يَهُودُوا وَتَنَصَّرُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَسْلَمَ الْأَبَاءُ وَأَرَادُوا إِكْرَاءَ الْأَوْلَادِ عَلَى الدِّينِ، فَتَنَاهُمُ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ. اهـ.

وفي حديث ابن عباس بيان أن أهل الكتاب لا يُكرهون على الدخول في الإسلام، ولكن عليهم دفع الجزية وهم صاغرون ذليلون، كما
قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا
يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

ومن عداهم من المشركين فالحكم فيهم الإسلام أو القتل، كما روى البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا
الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

يقول والذي رَحِمَهُ اللهُ عن حُكَّام العصر: حُكَّام المسلمين مسيرون غير مخيَّرين.
الطالبة تسأل عن معنى حديث أبي هريرة السابق: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ».

هذا في كافر أُسرَ وربط، صار في قبضة المسلمين، ثم هداه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للإسلام،
فيقاد إلى الجنة في السلاسل^(١).

﴿الرُّشْدُ﴾ ضد الغي.

﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ العروة الوثقى الإسلام.

(وَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) الآية اشتملت على الكفر بالطاغوت وتوحيد الله،
وهذا معنى (لا إله إلا الله)، نفي وإثبات.

قال: (وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ
فِي سَبِيلِ اللهِ»، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)
(رَأْسُ الْأَمْرِ) أي: شأنه.

(وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ) عمود الإسلام الصلاة، فمن ترك الصلاة فهو لغيرها أضيع،
فالصلاة شأنها عظيم، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام.

(وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ) أي: سنام الإسلام، وهو أعلاه الجهاد في
سبيل الله.

(وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «رياض الصالحين»: معناها يؤسرون ويقيدون ثم يسلمون فيدخلون الجنة.

والحمد لله نكون انتهينا من هذا الكتاب في ١٤ درسًا، ليلة ٩/ من شهر

صفر/١٤٤٥

نسأل الله أن ينفعنا جميعًا بذلك، وهو كتاب عظيم للمبتدئين، فنعم الزاد هو لأبناء المسلمين، ونرجو من أخواتنا وبناتنا الاهتمام بمراجعتة وهضمه؛ ليكون إن شاء الله كالأساس، البناء يكون على أساس وإلا سقط، فهكذا طالبة العلم تبني على أساس وتتقن الأول فالأول.

والعبرة بالكيفية لا بالكمية، أي: العبرة بالحصيلة والاستفادة، هل انتفعنا، هل استفدنا، هل حفظنا؟

لا بالكمية. أي: بكثرة الدروس والمحفوظات، انتهينا من كتاب كذا...، ولكن الحصيلة ضئيلة.

ثم العلم بالعمل؛ إذ أن العلم مراتب روى ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٧٦١) عن سفيان الثوري: **أَوَّلُ الْعِلْمِ الْإِسْتِيعَافُ، ثُمَّ الْإِنْصَاتُ، ثُمَّ الْحِفْظُ، ثُمَّ الْعَمَلُ، ثُمَّ النَّشْرُ.** وسنده صحيح.

نسأل الله أن يعيننا ويوفقنا لكل خير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



أسئلة الدرس الرابع عشر:

١. من عقيدتنا الإيمان بالبعث فما الدليل على ذلك؟
٢. ما الدليل على الإيمان بالحساب والجزاء؟
٣. ما حكم الذي يكذب بالبعث مع الدليل؟
٤. ما هي المواضع التي أمر الله سبحانه به محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقسم فيه في القرآن الكريم؟
٥. ما الدليل على أن البدء بالخلق أشد من إعادته؟
٦. كل الرسل دعت إلى الإيمان بالبعث فما الدليل على هذه المسألة؟
٧. ما الحكمة من إرسال الرسل؟
٨. من أول الرسل مع الدليل، ومن آخر الرسل مع الدليل؟
٩. كل الرسل دعوا إلى توحيد الله سبحانه فما دليلك على هذا؟
١٠. إلى كم ينقسم الغيب مع شرحه؟
١١. ما تعريف الطاغوت؟
١٢. رؤوس الطواغيت خمسة فما هي؟
١٣. ما معنى قوله تعالى: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾؟
١٤. ما وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وقوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾؛ لأن ظاهرهما التعارض؟

١٥. ما معنى قول النبي ﷺ: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ» ومن

روى الحديث ومن صحابه؟

١٦. هل الذي لا يحكم بما أنزل الله خارج من الملة أم فيه تفصيل؟

نفعنا الله وإياكم، وفقهما جميعاً في دينه.



بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

٣.....	الدرس الأول.....
٢١.....	أسئلة الدرس الأول:.....
٢٢.....	الدرس الثاني.....
٣٩.....	أسئلة الدرس الثاني:.....
٤٠.....	الدرس الثالث.....
٥٦.....	أسئلة الدرس الثالث:.....
٥٧.....	الدرس الرابع.....
٧٧.....	أسئلة الدرس الرابع:.....
٧٨.....	الدرس الخامس.....
٨٧.....	أسئلة الدرس الخامس:.....
٨٨.....	الدرس السادس.....
١٠٧.....	أسئلة الدرس السادس:.....
١٠٨.....	الدرس السابع.....
١٢٠.....	أسئلة الدرس السابع:.....
١٢١.....	الدرس الثامن.....
١٣٩.....	أسئلة الدرس الثامن:.....
١٤٠.....	الدرس التاسع.....
١٥٩.....	أسئلة الدرس التاسع:.....
١٦١.....	الدرس العاشر.....
١٧٣.....	أسئلة الدرس العاشر:.....
١٧٤.....	الدرس الحادي عشر.....

١٨٣	أسئلة الدرس الحادي عشر:
١٨٤	الدرس الثاني عشر
١٩٩	أسئلة الدرس الثاني عشر:
٢٠٠	الدرس الثالث عشر
٢١٨	أسئلة الدرس الثالث عشر:
٢١٩	الدرس الرابع عشر (الأخير)
٢٣٥	أسئلة الدرس الرابع عشر:
٢٣٧	الفهرس